٥٣٥

535

عبير

HARLEQUIN

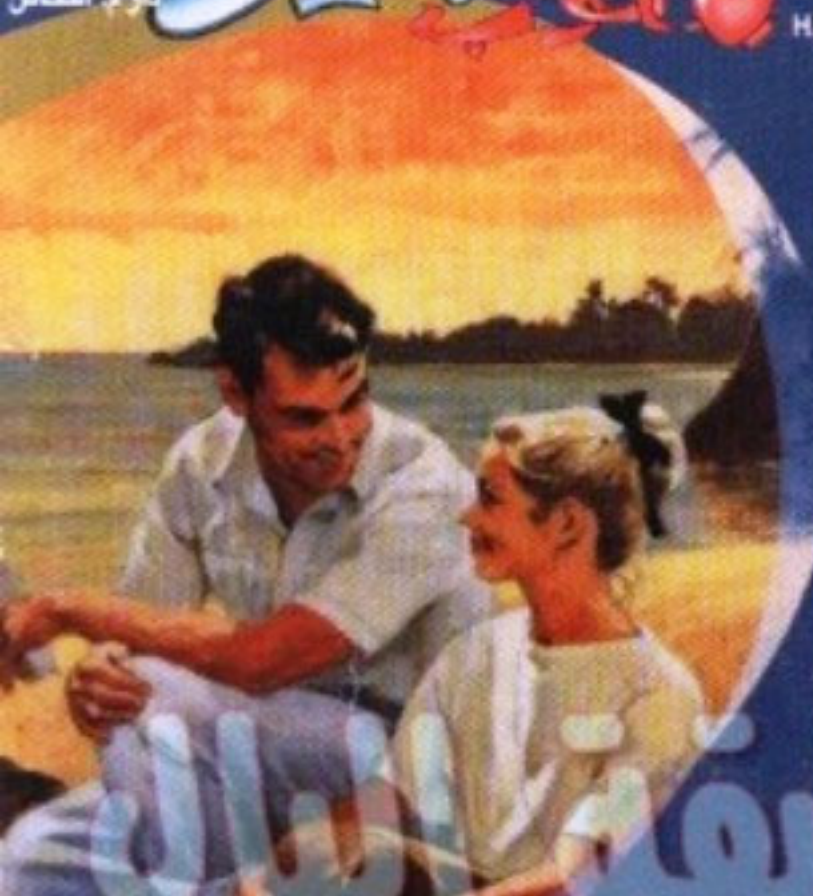

رايقة لبنان
WWW.LILLAS.COM

أمنيات الماضي

فانيسا غرانت

أمنيات الماضي

فانيسا غرانت

رابطة الليال
WWW.LILLAS.COM

«لن تسيطر على حياتي مرة ثانية!»

لقد أمضى كونر ستانفورد السنوات السبعة الأخيرة باحثاً عن زوجته الهاربة ليطلب منها أمرين: الأول، اعطاء تفسير لما فعلت، والثاني: الطلاق. لكن المرأة التي وجدها كونر أخيراً، كانت تختلف كثيراً عن الفتاة البسيطة التي عرفها! إذ أن ديكسي تعتقد أن زواجها منه كانت أكبر غلطة ارتكبتها في حياتها. لقد أحبت كونر بجنون، بالطبع ... لكنها لن تكرر ذلك ثانية! ويبقى السؤال، ألا يحق لكونر أن يعرف بوجود طفلته؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل - سوريا ٦٠ ل.س - الكويت ٧٥٠ فلس - البحرين ١ دينار - قطر ٦٠ دراهم - السعودية ١٠ ريالات - الامارات ١٠ دراهم - الاردن ١ دينار - مصر ٤ جنيه

الفصل الأول

لم يكن يجدر بها ان تنتظر ثماني ساعات، بل كان عليها أن تذهب إلى المعرض هذا الصباح وتقول له: «دعنا نتحدث.» وتواجهه بالأمر، فيقولان كل ما يجب قوله وهما يجلسان إلى طاولة في الكافيتريا، والناس من حولهما. لكنها لم تفعل ذلك، بل امضت سوزي يومها وهي قلقة بشأن هذا اللقاء، وشعرت انها لم تعد على استعداد لذلك، كما كانت تشعر في اللحظة الأولى لرؤيتها اياه مؤخراً خلال هذا اليوم.

كانت تنوي في بادىء الأمر ان تتوجه إلى شاطىء جزيرة سويتي، توقف شاحنتها الصغيرة في الموقف المخصص للسيارات، وتنتظره قرب الصخور، والمحيط من خلفها، إلى أن يصل في الصباح الباكر.

وما أن فكرت بذلك، حتى بدأ يجول بخاطرها كل ما قد يحدث ويفسد خطتها، كأن يسجل غاري أثناء رحيلها رقم السيارة ويستخدمه للبحث عنها ثانية، إذ ان رقم شاحنتها صادر من المكسيك.

وراحت تتخيله يطرق بابها، وابنتها جسيكا تفتح له الباب.

لكنها كانت تدرك انها واهمة، فهو على الأرجح لن يأبه لمعرفة مكانها. فقد مضت سبعة أعوام، وقد انتهت من حياته، هذا كل شيء. وقد كان من حظها السيىء ان يتوجه

إلى مركز إيغل التجاري هذا اليوم، وتوقف عند معرض اللوحات خاصتها. لا بد وانه رأى اسمها على احدى اللوحات، ورغب برؤيتها فقط بدافع الفضول. فلطالما كان يكره غاري الأمور المعلقة. وما عدا ذلك، لم يكن هناك سبب يدفعه لمعرفة تفاصيل حياتها.

ولم تكن سوزي اكيدة من تصديق نفسها لذلك أم عدمه، لكنها لم تتوجه إلى جزيرة سويتي بشاحنتها، بل توجهت إلى هناك بسيارة اجرة، وشعرت بتوتر حين انحرف السائق بها إلى الطريق المؤدي إلى جزيرة سويتي.

كان الطريق المؤدي إلى تلك الجزيرة مكاناً يقصده أهل المدينة للتنزه أيام العطلة، ولم تكن تلك الجزيرة حقيقية تماماً. اذ انه كان بالامكان الوصول اليها عبر طريق معبد، حيث الأعشاب الخضراء تغطي الأرض والمقاعد الخشبية تنتشر على الجانبين. لقد كان المكان مناسباً للقائهما، أو حتى لتنزه الأشخاص منفردين. عندما أتت سوزي إلى هنا في مرات سابقة، كان هناك عدد غير قليل من الناس، وهذا ما تصورته حين اختارت هذا المكان للقاء غاري. لكن الآن، ومع حلول الظلام، كان من الصعب رؤية أي شخص في المكان.

كان يجدر بها اختيار مكان آخر للقائه. والمركز التجاري كان المكان المناسب، ذلك لأنهما سيتمكنان من الكلام، ومن ثم سترحل، ولن يستطيع ابداً ان يعرف اكثر مما ستقول، غير انه يمكنه ان يطلب ذلك من روني، لكن روني لن يبوح بأسرار يجهلها هو، لذلك فانها اذا لم تخبره هي...

لقد كان غاري بمثابة اخ كبير لها عندما كانت لا تزال

صغيرة، يهتم لشؤونها ويدير لها حياتها. لكنها الآن في السابعة والعشرين من عمرها، وقادرة على الاهتمام بشؤونها، لكنه قد لا يرى ذلك. قد لا يكون قادراً على قول «كيف حالك؟» و«إلى اللقاء» فقط، بل قد يصر على معرفة المزيد. ولطالما كانت له طريقته الخاصة لمعرفة ما تكتمه سوزي. فعندما كانت في الحادية عشر من عمرها، تمكن غاري من ايجاد المكان الذي كانت تختبىء فيه، في تلك الغرفة الخشبية القديمة قرب الشاطىء. وعندما بلغت الخامسة عشر من عمرها، فرت سوزي، وكان غاري هو من وجدها، وهو كذلك من اقنعها بالعودة إلى منزلها بأسلوبه وجاذبيته.

كانت بعيدة عنه هذا الصباح مسافة مئة قدم فقط عندما تحرك أحدهم ورأته. فجفلت لرؤيتها خياله للحظات، تماماً كما حصل عندما مرت من أمام معرض لبيع اجهزة التلفزيون ورأته على احدى الشاشات. غير ان عقلها بعد ذلك اخبرها ان ما رأته ليس خيالاً، بل كان غاري، بلحمه وشحمه، وان استدار فانه سيتمكن من رؤيتها!

أخذت تركض بعيداً عن المكان وهي تلهث بقوة من شدة خوفها، إلى أن اطمأنت انه لم يلحق بها. لكنه شعر بوجودها الآن. فأدركت ان عليها مواجهته، وان توضح كل ما يحتاج إلى توضيح في الأمور المعلقة بينهما. لذلك اتصلت بالمعرض، من غرفة هاتف خارج المركز وهي مرتدية بنطالاً وبلوزة قطنية، وصورة غاري لا تفارق مخيلتها.

مرت سيارة شحن كبيرة حين اجاب روني على اتصالها

www.liilas.com

من داخل المعرض: «روني، لا تلفظ اسمي! أنا سوزي.»

«أين أنت؟ هناك شخص ينتظرك. لا يمكنك أن تحزري من يكون...»

«أعرف من هو.»

وراحت تتساءل في نفسها كيف يفكر بها الآن؟ على أنها الطفلة التي كانت تطارده في كل مكان؟ كمراهقة نزقة ترفض ارتداء التنانير بشدة؟ او ارتداء الأسود والبكاء في يوم جنازة والدها؟

قال روني بتعجب: «انه ذلك الرجل الذي رأيناه في الأخبار؟ الرجل الذي ينادونه بالذي لا يقاوم؟ يريد ان يشتري لوحة الفتاة القطة الأصلية.»

لا يقاوم.

لقد توقفت عن مشاهدة التلفاز منذ ما يقارب السنة عندما بدأوا بمناداته ويليامز الذي لا يقهر، والحديث عن الطريقة التي يظهر بها، كيف اختفى خلال حرب الشرق الأوسط الضارية... وخلال الحرب العرقية في افريقيا الجنوبية. لقد اعلن اختطافه وأنه في عداد المفقودين وانه متوفي خلال تلك السنوات. لكنه كان يظهر ثانية، هكذا كانوا يقولون. وعندما يظهر، كان دائماً لديه بعض الأسرار التي لا يجرؤ احد على طلب معرفتها. لقد غمرها الرعب حين سمعت ذلك، لأنها ادركت انه لن يتوقف عن المحاولة إلى ان جاء اليوم الذي فقد فيه كل شيء.

«إنها ليست للبيع.» وشعرت بدوار فظيع، لأن الصدف قد شاءت ان تكون اللوحة التي اختارها غاري هي صورة ابنتها جسيكا. حتى لو كان غاري قد اختار أية صورة

اخرى، فانه سيسأل عن الأصل كوسيلة ليتقرّب إلى سوزي، لدرجة تمكنه من أن ينتهرها ويوبخها، كما كان يفعل طيلة كل تلك السنوات. ثم كررت لروني ما قالته بنبرة عصبية: «لوحة الفتاة القطة ليست للبيع.»

«سوزي، أية لوحة في المعرض للبيع إذا كان الزبون سيدفع القيمة التي نطلبها. كل ما هنالك انه يريد رؤيتك. لقد ذهب للتو إلى... ها هو ذا، قد عاد. كم من الوقت ستبقين خارج المعرض؟»

كانت سوزي قد شاهدت على التلفاز ما يكفي ليجعلها تدرك ان غاري ويليامز سيبذل كل ما بوسعه ولن ييأس إلى أن يحصل على ما يريد. وانها اذا هربت منه الآن، فانه سيظل يلاحقها مادام الكلب يلاحق الهر.

«سوزي؟»

«هل لا يزال واقفاً؟»

«أجل، ما خطبك، أنت...»

«أخبره...» ثم اغمضت عينيها وهمست: «أخبره انني سألتقيه الليلة عند السابعة.»

«ماذا قلت؟ سوزي، سأغلق المعرض عند السادسة مساءً.»

«سألتقيه عند جزيرة سويتي، عند آخر الطريق.»

إذاً، ها هي هنا، وفي طريقها للقاء غاري، وهي تدرك أن لقاءها معه هو غلطة فظيعة...

رأت سوزي، غاري، عندما انعطفت سيارة الأجرة عند موقف السيارات، حيث كان مقر خفر السواحل، ومرسى اليخوت. رأت كذلك العشب الأخضر وغاري يقف قرب

www.liilas.com

الشاطىء وكأنه كان يتأمل مدخل الموقف والشمس التي ستغيب قريباً. لقد كان يقف مواجهاً للشاطىء، مما يمكنها من رؤية ظهره، وكتفيه العريضين، وحركة عضلاته المستمرة والسريعة. ولقد رأت سوزي ذلك مرات عديدة اذ ان غاري كان يتظاهر بالانتظار بهدوء اعصاب، بينما كان كل شيء في اعماقه يتسابق نحو المستقبل، وعقله شارد في مكان بعيد صاخب من العالم.

استدار حين توقفت سيارة الأجرة. لذلك ارتجفت يدي سوزي بينما كانت تناول السائق النقود. ولم يكن غاري قريباً كفاية لترى ذلك العبوس الذي يقطب جبينه، لكنها كانت متأكدة أن العبوس موجود. علقت سوزي شريط حقيبتها في كتفها واغلقت باب السيارة بقوة بعد ان نزلت منها. أخذت تنظر إلى غاري من فوق سقف السيارة، وكل ما استطاعت رؤيته هو وجهه بينما كان يقترب منها، وهو يحدق في عينيها إلى أن اصبح قريباً منها كفاية لدرجة انها تستطيع رؤية عينيه الزرقاوين الجذابتين.

توقف غاري عن الاقتراب منها وقال: «ظننتك لن تأتي.»

ابتعدت سيارة الأجرة، ليصبح لا شيء يفصل بينهما ما عدا رصيف عرضه ثمانية اقدام وما يقارب السبع سنوات من الزمن. كان يرتدي قميصاً ازرق اللون ذو كمين قصيرين.

وإذا بالرياح الآتية من جهة البحر تداعب تنورتها القطنية ذات اللون المتموج بين البني والاحمر، كما كانت ترتدي بلوزة مطرزة تطريزاً مكسيكياً لتريه انها تغيرت، وانها لم تعد الطفلة التي تحتاج إلى حمايته بعد الآن. ذلك لأنه كان معتاداً على رؤيتها مرتدية البنطال أو الجينز. لكنها لم

تدرك بينما كانت ترتدي ثيابها انها ارادت كذلك ان ترى وميض تلك العاطفة يتراقص في عينيه، والذي كان موجوداً في وقت من الأوقات.

غير انها لم تر أي عاطفة في عينيه الآن. بل فقط عينين زرقاوين باردتين وتقطيب على الجبين. وتمنت لو انها تستطيع ان تتكلم دون ان يظهر ذلك التوتر الذي يسيطر عليها.

فقالت بصوت أجش: «فكرت في عدم المجيء.»

لقد عبرت جنوب الحدود المكسيكية بعد أن انهت اتصالها الهاتفي مع روني. وشعرت براحة لدى عبورها الحدود، وكأن تلك الحدود العالمية كانت تمنع تدخل غاري في حياتها. كانت تقود سيارتها في الأراضي المكسيكية بسرعة كبيرة وهي تقول لنفسها انه ليس هناك من حاجة للعودة، لا حاجة للقائها غاري، لولا انها طلبت هي لقاءهما.

لكنها اذا لم تلتقيه، فان ذلك لن يكون الموعد الأول الذي تخلفه معه.

«وما الذي غير رأيك؟»

هزت كتفيها. لقد مضت سبع سنوات، ولم تعد تلك الفتاة الصغيرة التي يرهبها اسلوب غاري. وقد شاهدت على شاشة التلفاز رجال محنكين واقوياء يبوحون بأسرارهم امام براعة اسئلة غاري. فقررت ان عليها ان تكون اقوى منهم.

«معرفتي بك، لأنني أعرف انك اذا اردت التحدث إلي، فانك لن تكف عن المحاولة إلى أن تنفذ ما تريده.»

www.liilas.com

أشار إلى موقف السيارات وقال: «لدي سيارتي. دعينا نتوجه إلى مكان حيث بإمكاننا التحدث.»

عليها ان تحارب سر جاذبيته الغامض، هذا ما لم تكف عن قوله لنفسها. ذلك لأن المقالة الأخيرة التي قرأتها عنه، وصف فيها غاري ويليامز على انه «شخصية لا تقاوم». ولا بد أن تكون المرأة التي كتبت عنه هذه المقالة قد حاولت على الأرجح ان تجعل غاري يتزوجها. أخذت سوزي تفكر بذلك الوصف، وتساءلت بأسى ما اذا كان غاري قد تزوج من تلك الصحفية، إلا أنها عادت وطردت هذه الفكرة من رأسها. ذلك لأن غاري ويليامز لا يحب ان يرتبط بأحد بل يفضل البقاء حراً، خصوصاً بعد الصدمة القاسية التي تلقاها. واي امرأة يمكنها تحمل ذلك؟

«يمكننا التحدث هنا.» ثم وضعت يديها في جيبي تنورتها وتابعت: «ذلك لأنه ليس هنالك الكثير ليقال.»

وأحست بالغضب يتلاشى عن ملامحه رويداً، وظهرت تلك العاطفة في عينيه، دون ان تظهر على وجهه، وقال بصوت هادىء: «هل أنت خائفة من الركوب معي في السيارة؟»

فرفعت ذقنها وقالت: «عندما كنت في العاشرة من عمري، جعلتني أصعد إلى منصة الوثب بأسلوبك هذا. لكن هذا كان في الماضي وليس الآن.»

اقترب غاري منها، لكنها بقيت واقفة حيث هي.

«سوزي، فقط اخبريني ماذا تتصورين انني قد افعل لك اذا ركبت معي بالسيارة؟»

هزت سوزي كتفيها بطريقة تمنت ان تظهر على أنها حركة دالة على لا مبالاة.

«أتظنين أنني سأحاول استردادك بالقوة؟»

شعرت باضطراب يعتريها عندما تذكرت غاري وهو يدخل إلى البيت، حيث كان يعيش طيلة تلك السنوات، لكنها في المرة الأخيرة بالذات، كانت في انتظاره. تذكرت غاري وهو يحدق بها، لتظهر عليه جلية تلك النوايا فجأة. فاذا بها تغرق في عالم من الأحلام.

«تود السيطرة علي. هذا ما تريده. أليس كذلك؟ فأنت لا تأبه لرغبة الآخرين. أنت فقط...»

«لم أكن أنا من يفرض السيطرة. وهذا يجبرنا على التحدث في امور عدة.» ولو لم تر الغضب يشع من عينيه، لكانت صدقت الملل الذي كان صوته يوحي به.

«أنا لن اذهب إلى أي مكان، يا غاري.» وشعرت ان رجليها لا يساعدانها على الوقوف وبأصابع يديها تطبق على كفها وتابعت: «ليس برفقتك.»

«لم أكن اعرف انك تكرهينني.»

فأخذت تبتعد عنه قبل ان تنطق بتعليقها على ما قاله. كان يظهر فوق صفحة الماء قارب شراعي يتحرك بسرعة كبيرة بفضل شراعه الكبير المقلم. وتوجهت نحو صخور الشاطىء وكأنها تحاول ان تقترب من ذلك القارب لتبتعد عنه هو.

«متى قصصت شعرك، يا سوزي؟»

عندما نظرت اليه، وجدت انه كان على بعد خطوة واحدة منها، واحدى يديه لا تزال في جيب بنطاله. وقد كان قميصه الأزرق يبين عرض كتفيه ويزيد من جاذبيته.

«لم ار شعرك قصيراً من قبل.»

www.lilas.com

«لقد قصصته منذ سبعة أعوام.» ها هو قريب منها. ان الخطر موجود هنا والآن، وليس في ماضيها. فاذا بها تستدير بسرعة وتتسلق الصخور.

«انتبهي!»

وبعد ان تمكنت من الحفاظ على توازنها فوق احدى الصخور، استدارت ونظرت اليه، وقد بدا مزيجاً من شخصيته كمراسل تلفزيوني وغاري الفتى الذي أحبته منذ زمن طويل. فهي تعرف وجهه حين يعبس اكثر منه حين كان يبتسم، وذلك بسبب الأماكن التي توجه اليها بعد أن رحلت عنه. فقد كانت معتادة على رؤيته واقفاً والأبنية المهدمة خلفه... اطفال جائعين... مقاتلين.

وليس واقفاً هنا، ينظر إليها.

«أنا لن اقع.»

«لقد سبق وقلت ذلك من قبل.»

«لقد كنت طفلة حينها.» ها هو يصل إليها الآن، فأخذت نفساً عميقاً وأضافت: «وأنا لست طفلة الآن.»

«تبدين كأنك في الثانية عشر من عمرك. لماذا قصصت شعرك؟»

«لأنه اصبح يزعجني.»

«غا... ماذا تريد مني، يا غاري؟»

ظهر العبوس على جبهته، فأحست سوزي بسعادة لأنها ابتعدت عنه ووقفت على تلك الصخرة، ليؤمن لها وقوفها هنا نوعاً ما من الأمان. ذلك لأن الصخرة صغيرة، وتبتعد عن مكان وقوف غاري على العشب مسافة اربعة اقدام، وهي مسننة الأطراف، وغير محاطة بأي شيء. لذلك سيكون عليه

أن يثب وثبة طويلة حتى يصل اليها، ولم يكن بالامكان وقوف شخص اخر معها. اذاً، لن يستطيع الوصول اليها، ولا يمكن له الوقوف إلى جانبها، الا اذا كان يريدها ان تقع في المحيط.

«ماذا تظنين انني اريد؟»

هزت سوزي كتفيها، واطبقت شفتيها فهي تستطيع ان تذكر بوضوح كلام غاري عن تقنيات الحديث، وكيف يجعل الطرف الآخر يتكلم اولاً فيعرف الكثير بهذه الطريقة. حدقت به بصمت، واذا بلون عينيه القاتم الزرقة يتحول إلى لون اسود، يخفي أي أحاسيس واضحة. وهي تستطيع ان ترى من خلفه سيارة شرطة تتوجه ببطء نحو الموقف.

رفع رأسه وكأنه أحس بشيء من التعابير التي بدت على وجهها وقال: «الا تظنين انك مدينة لي بتفسير لما جرى، يا سوزي؟»

لكنها لم تجبه.

«لقد رحلت عني منذ سبعة اعوام دون حتى ان تنطقي ولو بكلمة واحدة!» ثم وضع يديه في جيبي بنطاله وتابع كلامه قائلاً: «لا يمكننا ان نناقش ذلك بحديث قصير عند حافة المحيط.»

«لقد تركت لك رسالة صغيرة.» وقوفها على هذه الصخرة لم يكن امراً صائباً. فهي لا تستطيع الذهاب إلى أي مكان.

«حقاً.» ظنت سوزي انه مسيطر على اعصابه وغير غاضب، لكن الغضب كان واضحاً على وجهه وفي نبرة صوته حين قال: (اعتقد انه من الأفضل لي ان ارحل الآن، لأن زواجنا لن ينجح ابداً.) هذا ما كتبته. ماذا كان عساي ان افعل، يا سوزي؟»

فوضعت يديها في جيبي تنورتها وحنت كتفيها وقالت: «احتفظ بالرسالة. وانطلق سريعاً كي تصل قبل اقلاع الطائرة. هذا ما كنت تفعله على اي حال.» وشعرت انها بحاجة شديدة لتغيير مكان وجودها في تلك اللحظة، لكنها قاومت تلك الحاجة وتابعت: «وما كان نفع معرفتك لمكان وجودي؟ وما نفع ذلك الآن؟» ان ما تشعر به سوزي هو شعور فظيع، ذلك لأن غاري كان يحدق بها، وهي لم تكن تعرف ما يفكر به، سوى انه كان غاضباً. ربما لم تستطع ان تعرف ابداً ما كان يفكر به.

مدّ يده اليها وقال: «تعالي إلى هنا. لا يمكننا متابعة حديثنا بهذه الطريقة.»

«ليس هناك ما نتكلم بشأنه.»

«ما زلت زوجتي.» لكن كلماته تلك طارت مع الرياح لأن سيارة الشرطة التي كانت تظهر خلفه بدأت بالتوجه نحو مكان وجودهما، وهي تطلق صفارة انذارها، لأنه لا بد وان يكون القارب الشراعي الذي كان يظهر خلفها لا يزال عالقاً في وسط المحيط.

«لكن ألم... لقد اعتقدت انك طلقتني.»

لا شعورياً راحت تتأمل غاري وهي ما زالت لا تصدق بأنه... ولكن انه هو... هو غاري. قال: «هل تناولت طعام العشاء؟»

«لا.» وشعرت وكأنها انتقلت إلى زمن آخر، اذ ان غاري يمشي إلى جانبها يأخذها إلى سيارته. فقد بدا ذلك تماماً كما فعل حين اخرجها من معهد الفنون. لقد كانت في العشرين من عمرها، ووحيدة في هذا العالم، ليس لها سوى

غاري، الذي جاء ليتولى حياتها. فتوقفت فجأة خطوتين بعيداً عن السيارة، وقالت: «ما الذي تريده مني؟»

«جواً مناسباً أكثر لمتابعة حديثنا.»

«وماذا ايضاً؟»

«أجوبة لتساؤلاتي. لماذا هربت؟ أين تقيمين؟»

«كان لديك ثماني ساعات لتتحرى عني، ولم تستطع ان تعرف حتى مكان اقامتي؟»

فأخذ يتفحصها بعينيه كمن يفحص عينة ما تحت عدسة المايكروسكوب ثم قال: «لو لم تختبئي عمداً، لكنت وجدتك منذ اعوام. لماذا هربت؟»

فتذكرت اليوم الذي رحلت فيه، وتذكرت التعابير التي كانت بادية على وجهه، واللحظة التي ادركت فيها كل شيء. وقالت: «أنا فقط... زواجنا كان غلطة.»

«غلطة؟» ثم وقف صامتاً ينتظر ان تفسر ما قالته. حاولت مقاومة رغبتها في الكلام والتزام الصمت لكنها فشلت.

«لقد ادركت... بل عرفت انني اذا اخبرتك... لما كنت تركتني ارحل. لذلك... وبكل بساطة، رحلت... بماذا يهم ذلك الآن؟»

توجه نحو باب سيارته وفتحه، ثم اومأ اليها بالدخول إلى السيارة.

تنهدت بعصبية وقالت: «لم تتغير ابداً. لن اركب سيارتك. أنا آسفة لأنك تضايقت بسبب اختفائي، لكنك لن تسيطر على حياتي ثانية.» ثم اشارت باصبعها إلى مكان غير محدد وقالت: «عد إلى حيث تمضي وقتك هذه الأيام، لكن اولاً، اتصل بمحاميك. طلقني، كان عليك ان تفعل ذلك منذ اعوام خلت.»

www.liilas.com

شد قبضته على باب السيارة، فتراجعت سوزي بضع خطوات إلى الوراء، لأنه خالجها فجأة شعور مخيف بانه قد يجبرها على الدخول إلى سيارته. وهمست: «فقط لو لم تر تلك اللوحات اليوم.»

اشتدت ملامح الغضب البادية على وجهه لتصبح اكثر قساوة وقال: «لقد عرفت بوجودك منذ اسبوع. ذلك لأن صورتك كانت معلقة على ظهر احدى لوحاتك الشهيرة التي كانت معلقة في مكتب مدير محطة البث في فرجينيا.»

أسبوع. لقد اجتازت الحدود عدة مرات ذهاباً وايابا. حتى انها اصطحبت جسيكا معها مرتين إلى هنا. ولحسن الحظ ان جسيكا لم تأت معها اليوم، لأنها ارادت الذهاب بصحبة ليز إلى الشاطىء، ولكنهما عدلتا عن ذلك في اللحظة الأخيرة.

لا بد ان يعرف يوماً ما بأمر جسيكا. لكن ليس اليوم!

قالت بهمس: «لقد رأيتك عبر شاشة التلفزة.» ها هو يحدق بها الآن، ما جعل وجنتيها تتوردان، فتحول نظرها الى صندالها الذي كانت تنتعله وتابعت: «في نشرة الأخبار، لكن ليس كثيراً في الفترة الأخيرة. اين كنت...»

اجاب: «لم تهتمي يوماً لمعرفة مكاني.»

قالت: «لقد اخبرتك في الرسالة انني لن اعود.»

قال: «كل ما عرفته عنك هو انك متِ.»

فرفعت رأسها وقالت: «كان يمكن ان تكون أنت قد مت آلاف المرات حتى الآن.» اقترب منها لكنها ابتعدت عنه وتابعت: «لم احتمل فكرة ان أمضي حياتي خائفة من حصول ذلك ثانية، أشاهد على شاشة التلفزة... أشاهد

نشرة الأخبار المسائية، وأرى... لن انسى ابداً صورة والدي وهو يقتل برصاصة ذلك الارهابي. اخرج من حياتي يا غاري.»

جفل غاري لسماعه ذلك وقال: «رأيت جلبرت يُرمى بالرصاص؟ لمَ لمْ تخبريني انكِ رأيتِ ذلك؟»

لفّت ذراعيها حول خصرها وقالت: «وما نفع ذلك؟»

قطع غاري مسافة الأربعة اقدام التي تفصل بينهما. فأخذت هي بالتراجع، لكنها بدأت بفعل ذلك متأخرة، إذ انه اصبح يقف امامها مباشرة، واذا بالهواء الذي تستنشقه يعبق برائحة عطره.

«كلامك هذا غير منطقي. أنا لا اصدقك، هذا ليس السبب الذي جعلك ترحلين عني.»

هزت كتفيها، فاذا بملامح وجهه تتسم بالألم، وكأن هذا الألم قد نقل أحاسيسه إليها.

«كان عليك أن تقولي شيئاً عندما طلبت منك الزواج. فأنت تعرفين طبيعة عملي والمخاطر التي اواجهها... أنت...»

«عندما طلبت مني؟» كانت ترتجف في داخلها، لكنها رمقته بنظرة غاضبة من نظراتها تلك. ومع كل نفس كانت تستنشقه، كانت تشعر بالغضب يسيطر عليها أكثر، وبالبرودة تسري في جسدها، بالرغم من البلوزة التي كانت ترتديها. وتابعت: «أنت قررت عني. (اعتقد انه علينا ان نتزوج) هذا ما قلته. لقد تزوجتني لأنك تعتقد انني لا استطيع الاعتناء بنفسي، وكما ترى، كنت مخطئاً. فأنت لا تعرفني جيداً، يا غاري. أنا... ابتعد عني قبل ان اصرخ! أنا لست بحاجة لمن يهتم بي! اذا كنت تشعر انك لا تزال ملزماً

www.liilas.com

بسبب ذلك الوعد الذي قطعته لوالدي، فانس امره. هناك...»
وابتلعت ريقها، عندما قاطعها ثائراً.

«إن الوعد الذي قطعته لجلبرت ليس له علاقة بالأمر.»

فضحكت وقالت: «لكنك سددت ديونك، أليس كذلك؟ وأنت تدين بالكثير لجلبرت ووكر. وأنا...» وشعرت باضطراب بسبب وميض تلك العاطفة التي ظهرت في عينيه. ذلك لأن جسيكا تنظر اليها احياناً بهذه الطريقة عندما تكون غاضبة، عندما تكون راغبة في الحصول على شيء ما، ولا تسمح لها سوزي بالحصول عليه.

عليها ان تخبره بشأن جسيكا. كانت تعرف بأن عليها ذلك. لكن ليس الآن. ليس اليوم، وعيني غاري تتضحان غضباً وهو يقف إلى جانبها وكل نبضة من قلبها هي صدى لكل رفة من عينه.

سألها بصوت رخيم كما يبدو احياناً عندما تسمعه خلال نشرة الأخبار: «أريد منك تفسيراً لما جرى. لماذا هربت؟»

«لست مدينة لك بأي تفسير.»

«بل اعتقد انك مدينة لي بذلك.»

عضت على شفتها ثم سألته بصوت يشبه الهمس: «لماذا لم تطلقني؟»

«لقد قطعت وعداً.»

لقد ادركت منذ زمن بعيد ان زواجهما غير ناجح، لكن ما آلمها هو أن وعده لوالدها كان بالنسبة له اهم من الغضب الذي لا بد وانه شعر به عندما هربت.

«أين تقيمين، يا سوزي؟»

اخذت نفساً عميقاً وقالت: «أنا لن ادعوك الى منزلي، اذاً

ليس هناك من ضرورة لتعرف مكان اقامتي.» لأنه اذا عرف بأمر جسيكا، فانه سيقحم نفسه في حياتها مرة ثانية، فرفعت رأسها ونظرت اليه وسألته: «أنت بحاجة إلى عنوان حيث ترسل لي اوراق معاملة الطلاق؟»

«أريد تفسيراً لما جرى، يا سوزي، لكن اجل، اريد الطلاق. أريد ان أباشر حياتي ثانية.»

«لكنني لا أعتقد انك اضعت كل تلك السنوات هدراً.» وهزت رأسها متمنية لو ان شعرها لا يزال طويلاً كي يطيره الهواء ويغطي وجهها. وتابعت: «أرسل الأوراق على عنوان روني. سأعطيك بطاقته. اتركني، يا غاري.»

قال: «أنت لا تزالين زوجتي.»

فقالت بسخرية: «زوجتك؟ كل كلمة قلتها يوم عقد القران كانت كذباً. وكوني زوجتك... في هذه الأيام لا يعطيك الحق في ان تعاملني بقسوة.»

«أعطني بطاقته... العنوان.»

انه العنوان حيث ستصلها ورقة الطلاق، ورقة تعلن انفصالهما رسمياً وقانونياً. وبعد ذلك... بعد ان ينتهي كل شيء، ولا يصبح لديه اي سلطة او حق عليها، ستخبره عن جسيكا. ومهما كان غاري ويليامز قاسياً وخطيراً بالنسبة لها، فهي تدرك انه عليها، يوماً ما، اخباره ان له ابنة.

قالت ليز: «دعيني استوضح الأمر أكثر.» كانت تجلس على سرير سوزي في كوخها الصغير الواقع شمالي ايفيردا، في المكسيك. وكانت تراقب سوزي وهي توضب غسيلها. مدت احدى يديها واخذت تعد على اصابع يدها

www.liilas.com

والعبوس باد على جبهتها: «اولاً، هل هذا الرجل هو والد جسيكا؟»

فوقع بنطال الجينز من بين يدي سوزي بينما كانت تطويه فوق كومة من ثياب جسيكا المكونة من البلوزات القطنية والبنطالات القصيرة، والتي كانت موضوعة على السرير. وقد كان يسمع من الغرفة الثانية صوت ضحك اذ ان جسيكا كانت تلعب مع دونا، ابنة الجيران. وكان يسمع كذلك صوت نباح، انه سوتي كلبهم الهجين.

أجابت سوزي بملل: «أجل، لقد اخبرتك بذلك. اخبرتك به منذ زمن بعيد.» ثم انتشلت بنطال الجينز من فوق كومة الثياب وطوته. ولم يكن هناك أحد يعرف من يكون والد جسيكا سوى ليز. لأنها قبل ستة اعوام، قدمت لسوزي عرضاً مكنها من ان تؤمن لطفلتها منزلاً بعد ان وجدت عملاً تعتاش منه هي وابنتها.

وجسيكا تعرف من هو والدها، لأنها في العام الماضي، سألت سوزي عنه، وقامت هذه الأخيرة باخبار ابنتها عن غاري وارتها اياه على شاشة التلفزة. وهي تتوقع، وقريباً جداً، أن تسأل جسيكا المزيد من الأسئلة فيما يخص والدها.

رفعت ليز شعرها الطويل الأحمر إلى الوراء وقالت: «لقد اريتني رجلاً على شاشة التلفزة. وأخبرتني انه لا يأبه لأي شيء آخر سوى اخبار العالم والفضاء. لكنه هنا الآن ومن الواضح انه مهتم لأمرك. انه يقول انك زوجته، وأنت... أنت تختبئين منه، ولا تريدين التحدث اليه، ولا تريدين رؤيته، أنت مغرمة بهذا الرجل وها هو يقف على عتبة بابك...»

«أنا لست مغرمة بهذا الرجل! كل ما هنالك هو انه لا

يزال... لا يزال لديه هذا... هذا التأثير النفسي علي، لكنه بالتأكيد ليس الحب!» وعضت على شفتها ثم قالت: «سيجدني، اتعلمين. لقد كان غاضباً عندما استقليت سيارة أجرة وذهبت.»

كان غاري وسوزي يقفان وجهاً لوجه عند موقف السيارات حين وصلت سيارة الأجرة. فهرعت سوزي إليها والخوف يغمرها. وآخر ما استطاعت رؤيته هو تلك التعابير التي بدت على وجه غاري، والتي تخبرها ان الأمر بينهما لم ينته بعد. استأنفت بعد ذلك حديثها قائلة: «لا بد وانه سجل رقم لائحة سيارة الأجرة. ويمكن ان يكون الآن قد عرف أين أقيم.»

لكن ليز لم تصدق ذلك وقالت: «لقد قلت لي ان سيارة الأجرة قد اقلتك إلى محطة الباص الكهربائي في إيغل. ومن الصعب جداً ان يجدك هناك! أنت تتصرفين وكأنك ممثلة في قصة جاسوسية!»

«لقد اقتفى غاري آثار الجواسيس.» وأخذت توضب الثياب بعصبية وتابعت حديثها: «سيجدني، وسيكتشف امر جسيكا، وعندئذ...»

نزلت ليز عن السرير وقالت: «فكري بالأمر ملياً، يا سوزي. لقد مضى على ارتباطك بهذا الرجل عدة اعوام، وأنا أعرفك منذ ست سنين، وطيلة هذه الفترة وأنت تهتمين بشؤون جسيكا. وها هو غاري هنا الآن، لماذا لا تمنحينه فرصة ثانية؟»

هزّت سوزي رأسها وقالت بهمس: «أنت لا تفهمين.»

بعد رحيلها من عنده مباشرة، توقعت سوزي ان يلاحقها

www.liilas.com

غاري... ان يقرع على باب الغرفة التي استأجرتها لتنام فيها... لقد ادركت خطورة ما فعلت، لذلك اختفت وأخفت آثارها بقدر المستطاع. ذلك لأن غاري يعرف جيداً كيف يجد الأشخاص، لكنها كانت مصممة على الا تمنحه فرصة لذلك.

لقد كانت حذرة على الا تذهب إلى أي مكان قد يظن انها قد ذهبت اليه، فيتوجه هو بدوره إلى هذا المكان. لقد قطعت نفسها عن العالم، لم تكتب أو تتصل بأي شخص. سحبت رصيدها كاملاً من المصرف وابتعدت مسافة خمسة عشر ميلاً عنه. فهي تدرك ان عملها هذا عملاً مجنوناً، ومبالغاً فيه، لكن لو وجدها غاري، حينئذ... لما كانت استطاعت ان تعالج الموضوع كما يجب حينها.

وهي لم تكن متأكدة من انها ستتمكن من فعل ذلك الآن.

الفصل الثاني

عندما أخذها والدها معه لتعيش مع السيدة جاكي ويليامز في جزيرة بوتس، وعدها بأمرين. وهي تذكر أنها نظرت إلى الأعلى كي تتمكن من رؤيته بينما كان يتحدث، لأنها كانت في السادسة من عمرها.

لقد أخبرها أنها ستكون سعيدة مع السيدة ويليامز، ووعده لها كان بقوله ما يلي: «سآتي لزيارتك كل عام في ذكرى مولدك.» وابتسم تلك الابتسامة التي كانت تجعل سوزي تشعر بالتميز ثم قال: «سنترافق لقضاء عطلتنا بعيداً عن هنا، فقط أنا وأنت. أعدك، يا عزيزتي.»

وهي صدقته.

لم يكن جلبرت ووكر ليقول بما هو أفضل من وضع سوزي في رعاية جاكي ويليامز، ذلك لأن سوزي كانت تفتقد والدتها، لكن والدتها رحلت إلى الأبد في حادث سيارة مروّع، والسيدة التي اعتادت على مناداتها بالعمة جاكي كانت حنونة ورقيقة. لذلك فإن والدها كان محقاً... لأن سوزي كانت بالفعل سعيدة بالعيش مع عائلة ويليامز.

غير أنه كان من الصعب عليه أن يحافظ على وعده لها، ويأتي لزيارتها في ذكرى مولدها، وذلك لوجود أسباب خارجة عن إرادته. فقد كان يتصل عادة قبل عدة أيام من ذكرى مولدها، وهي تمسك سماعة الهاتف مصدومة حين يخبرها عن سبب عدم قدرته على المجيء إليها، ومن بين

الأسباب التي يذكرها أن هناك أزمة سياسية في فرسوفيا، أو تحطم طائرة في المحيط الهادىء، وكان يقول لها انه يريد أن يكون معها، لكن ظروفاً قاهرة كانت تمنعه.

«آسف، يا عزيزتي، لكن هذا الأمر حصل في جنيف، سأعوّض عليك في العام المقبل، شاهديني عبر شاشة التلفزة، وسأبتسم لك ابتسامتي المعهودة. أنت تقدرين الأمر، أليس كذلك؟»

وكانت سوزي دائماً تقول انها تقدر ذلك.

وقد كانت العمة جاكي تسمح لسوزي بان تبقى مستيقظة إلى وقت متأخر لتشاهد نشرة الأخبار في الأيام التي سيقدم فيها تقاريره حول أحداث هامة. ومنذ طفولتها، كانت سوزي تعلم أهمية عمل والدها، وتسر بابتسامته لها عبر الشاشة حين يقول: «هنا جلبرت ووكر، يتحدث إليكم من...» من جنيف، أو نيقوسيا، أو لندن. لقد كان يرسل ابتسامته لها من أي مكان موجود فيه، لتكون هذه الابتسامة بمثابة إتصال سري بينهما، تلك الابتسامة التي لا يعرف أحد على طول شاطىء كندا الغربي انها لإبنته. وهي أبقت أمر هذه الابتسامة سراً حتى أنها لم تخبر غاري.

لقد كان إبن العمة جاكي المدعو غاري في سن الثالثة عشر حين جاءت سوزي للعيش مع عائلة ويليامز في المزرعة. ويوم وصولها، كانت خائفة للغاية وتفتقد والدها، فأخذها غاري إلى البيت الخشبي الذي بناه في واحدة من خشب أشجار القيقب الكبيرة في الغابة، وقال لها: «يمكنك أن تأتي إلى هنا في أي وقت تشائين، ويمكن أن يكون هذا مخبأك السري.»

فظنت سوزي أنها قد أغرمت به في ذلك اليوم.

كان والدها يرسل لها الهدايا حين يكون منشغلاً. وكان يفاجئها أحياناً بمجيئه إلى المزرعة وقضاء بضعة أيام معها، فيتنزهان سيراً على الأقدام ويرافقهما غاري، الذي كان يتحدث مع جلبرت في أمور لم يناقشها من قبل مع سوزي، التي كانت تستمتع بالمشي برفقة ذلك المراهق النحيل والقصير غاري ووالدها الطويل، أحبت الاستماع إلى اسئلة غاري وإجابات والدها الرائعة، والتي كانت تتناول أخبار العالم من وجهة نظر مراسل أخبار تليفزيوني.

وعندما كبرت، عرفت سوزي أن والدها قد اعطى لجاكي ويليامز النقود كي تبني لإبنته منزلاً، لكن جاكي كانت بحاجة إلى النقود لتربية غاري وإدارة شؤون المزرعة التي كانت تمتد على طول شاطىء جزيرة بوتس. لكنها كانت تعامل سوزي وكأنها ابنتها فعلاً، ولم تشعر سوزي يوماً أنها نزيلة عندها. فهي كانت أكيدة من أن العمة جاكي تحبها.

كذلك فقد كان غاري يعامل سوزي على أنها إحدى أفراد العائلة. فقد كان يحميها ويساعدها على حل مشاكلها. وكان يغيظها بضحكة حين كانت تبكي، ويحدثها أحياناً عن أحلامه.

كانت سوزي في السابعة من عمرها عندما حلمت بأن تتزوج غاري عندما تكبر. وفي يوم ذكرى مولدها الثامن، قامت بارتكاب غلطة حين أعلنت له عن حلمها. لقد كان يعلمها كيف تقوم بشواء نبات الخبيزة بواسطة قضيب

www.liilas.com

خشبي. لكنها فشلت في فعل ذلك ثلاث مرات وأوقعت النبتة في النار. فراحت تبكي، لكنه لاطفها وأعطاها نبتة أخرى وقال: «هذه المرة ستنجحين.»

فابتسمت والدموع لاتزال على خديها وقالت: «ستتزوج مني حين أكبر، أليس كذلك، يا غاري؟ هذا ما أريده أنا.»

لم يحرك غاري ساكناً، ليقول بعد لحظات: «انتبهي لما في يدك. إرفعي القضيب.» ثم ابتسم، وابتعد عنها، قائلاً: «ستزوجين من شخص آخر، يا سوزي.»

قالت بحسم: «كلا، لن أفعل.»

«سيكون عليك ذلك، لأنني لن أكون هنا. فأنا أريد أن أصبح مراسلاً تليفزيونياً كوالدك.»

ولم تكرر سوزي سؤالها، لكن هذا الحلم ظل مرافقاً لها طيلة سنوات عديدة، وهي لطالما كانت تقول انها عندما تكبر ستكون جميلة كوالدتها، وسيغرم غاري بها وسيتزوجان مثلما تزوج والدها ووالدتها، ذلك لأن سوزي كانت تصدق بأن الأحلام تتحقق. إذ أن والدتها أخبرتها أنها إذا تمنت حصول أمر ما بشدة، فإنه سيحصل. لذلك تمنت وخططت، واتبعت القواعد التي تؤدي إلى تحقيق الأمنيات بسرّية تامة.

سيكبر غاري ويصبح مراسلاً تليفزيونياً، وهي ستكبر ويتزوج منها. وسيعيشان حيث تكون الأحداث، في لندن، وروما وبرلين. ستلحق به أينما ذهب ولن تنتظر ثانية أبداً اتصالاته الهاتفية كما كان يحدث مع والدها.

وفي فصل الصيف الذي كانت سوزي تبلغ فيه التاسعة من عمرها، لم تر غاري كثيراً. فقد كان يمضي وقته برفقة

آرلين ديرسي، التي أتت لزيارة جدها وجدتها. ذلك بعد أن كانت قد أتت إلى الجزيرة في اجازة المدرسة. كانت سوزي تعتقد أن آرلين خرقاء، فهي تستخدم الكثير من طلاء الأظافر وأدوات الزينة لشعرها، وكان غاري يوافقها الرأي. لكنها عندما عادت في شهر تموز (يوليو)، غيّر غاري رأيه.

كان جلياً أن سوزي لم تحب آرلين، لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لغاري، ولطالما رأتهما جالسين في القارب في طريقهما إلى المدينة وهما يتسامران... أو رأتهما يركضان على العشب الأخضر الطويل قرب الشاطىء.

لقد كانت تلك اللحظة هي الأسوأ بنظر سوزي. فأخذت تركض من المنزل باتجاه الشاطىء غير آبهة لما ترتطم بها خلال ركضها، وهي تصرخ. ولم تفكر كثيراً بما رأته حينها، لكن ذكرى ذلك المشهد ظلت تؤلمها لسنوات عديدة.

وعرفت أن غاري بدأ يبتعد عنها، وبدأ يستلطف آرلين ويتقرب إليها.

عندما بلغت الثانية عشر من عمرها، ذهب غاري إلى إلدوفر ليتابع تعليمه العالي. فافتقدته إلى حد ألمها، غير أن حدة هذا الألم خفت مع الوقت، لكنه لم يتركها أبداً. وعندما كان يأتي إلى الجزيرة في الإجازة، كانت تلحق به أينما ذهب. وعندما كان يعمل في المزرعة، كانت تسرع لمساعدته، وحين لا يكون باستطاعتها المساعدة، كانت تجلس على السياج، أو في أي مكان تكون فيه قريبة منه، غاري، وهو كان يتكلم وهي تستمع. وعندما أخبرته أنها تريد أن تصبح رسامة، لم يسخر منها.

www.liilas.com

لم يسخر أبداً من أحلامها. وعند بلوغها الخامسة عشرة، كانت سوزي تتمتع بقدر من الوعي يجعلها تعي فكرة أنه لا بد وأن يكون غاري يخرج برفقة فتيات يدرسن معه في الجامعة، كما خرج مع آرلين ولم تأبه لذلك. لأنها يوماً ما ستكبر، وسينظر إليها تماماً كما نظر إلى آرلين. وقد رافقها ذلك طيلة مرحلة بلوغها.

اتصل بها والدها ليعدها بأنه سيحضر يوم ذكرى مولدها، وأنهما سيذهبان إلى إلدوفر ليحضرا حفلاً موسيقياً، ومن ثم يتناولان طعام العشاء ويقيمان ليلتهما في فندق فخم جداً. وخلال الأسبوع الأخير الذي سبق ذكرى مولدها، كانت سوزي يومياً تأتي إلى البيت مسرعة، وتسأل: «هل اتصل أحد هاتفياً؟»

وكان جواب العمة جاكي دائماً: «لم يتصل والدك بعد. لا تقلقي، سيأتي، وسنحتفل بذكرى مولدك.»

كان اليوم هو يوم الجمعة، ومن المفترض أن يأتي والدها يوم الخميس. وعندما لم يتصل هاتفياً مساء يوم الأربعاء، عرفت سوزي أن مجيئه مؤكد. لكن الخميس قد أتى وجلبرت ووكر لم يأت، ولم يتصل. لم يفعل شيئاً نهائياً. فشاهدت نشرة الأخبار، ولكنه لم يظهر أيضاً. لا بد أنه نسي الأمر. وقد تضايقت جداً لأنها كانت تعتقد أنه سيأتي، لكنه لم يأت، لقد نسيها تماماً، حتى أنه لم يتصل ليبلغها اعتذاره.

وعندما حاولت العمة جاكي أن تكلمها في هذا الموضوع، خرجت سوزي من البيت وأخذت تركض بإتجاه الغابة ثم دخلت إلى البيت الذي بناه غاري في

شجرة القيقب، وراحت تبكي وتبكي إلى أن أنهكت. لقد نسيها والدها تماماً.

وبعد مرور فترة من الوقت، عادت إلى البيت، وتسللت إلى المكتب ثم اتصلت بغاري في إلدوفر. فلو أنها تستطيع التحدث إليه، عندئذ سيتحسن حالها، لأنه سيقول لها ان والدها يهتم لأمرها ويحبها، ويطمئنها أن كل شيء سيكون على خير ما يرام.

لكن زميل غاري في المكتب أخبرها أن غاري قد خرج. لطالما كان غاري بقربها، ويزعجها الآن أنها لم تجده في الوقت الذي هي في أمس الحاجة إليه. لقد تخلى عنها والدها وغاري معاً.

لم يكن يريد والدها أن يأتي فقط للبقاء معها، بل لأنه وعدها بالذهاب إلى إلدوفر لحضور الحفل الموسيقي. غير أنها كانت ستحضر هذه الحفلة معه أو بدونه. ومن دون مساعدة غاري أيضاً. لن يغرم بها غاري الآن أبداً، وهو محاط بفتيات كثر من حوله، بل إنه على الأرجح سيحب ويتزوج إحداهن، رغم أنه أخبرها بأنه لن يتزوج أبداً.

عندما تركت المنزل، كانت سوزي ترتدي ثوبها الذي كانت تنوي أن ترتديه في حضور والدها، وكانت لاتزال تشهق بين الحين والآخر من كثرة بكائها. توجهت إلى مرسى السفن في جزيرة بوتس، وركبت القارب المتوجه إلى إلدوفر، لكنها لم تخبر العمة جاكي، لأنها كانت واثقة من أنها لن تسمح لها بذلك. وكان لديها ما يكفي من المال، ما يكفي لدفع ثمن تذكرتي القارب والباص إلى إلدوفر. ورغم

www.liilas.com

انه لم يكن لديها ما يكفي من المال للعودة الا أنها لم تأبه لذلك. فهي لم تكن تنوي العودة أبداً.

لقد أتت إلى إلدوفر عدة مرات برفقة غاري والعمة جاكي، لذلك فإنه لم يكن من الصعب عليها التجول هناك. وبعد وصولها، وجدت أنه لا يزال هناك ثلاث ساعات قبل أن يبدأ الحفل، فذهبت إلى الحديقة الواقعة في الجهة الأخرى من الشارع، وجلست على أحد مقاعدها. لكنها شعرت بالوحدة أكثر مما كانت تتصور. وأخذت تفكر أنه بعد انتهاء الحفل، سيكون عليها البقاء في إلدوفر، وعلى المقعد هذا، ترتجف من البرد والخوف. فأدركت كم هي حمقاء لفعلها ما فعلت، فلطالما نصحها غاري بأن تفكر قبل أن تتصرف، وهي لم تفعل ذلك على الإطلاق. فكرت في البحث عن وظيفة، لكن ليس لديها أدنى فكرة عن كيفية قيامها بذلك. حتى أنها فكرت أنه ربما حين يعرف والدها أنها هربت، فإنه سيأتي إليها لأنه يهتم لأمرها.

وقد مضى على عدم رؤيتها له ما يتجاوز عاماً من الزمن، وبدأت تفقد ثقتها بحبه لها وإهتمامه لأمرها. ففكرت بالاتصال هاتفياً بالعمة جاكي، لكنها كانت تعرف أنها ستقع في مشكلة كبيرة. وغاري... سيكون خارج سكنه مجدداً.

إرتدت معطفها الواقي من المطر لترد عن نفسها قليلاً من برودة الطقس، ولتقي نفسها من الشتاء المحتمل هطوله قريباً، إذ أن السماء كانت ملبدة بالغيوم السوداء مما يهدد بهطول مطر غزير. لذلك فقد كان من الصعب عليها أن تمضي ليلتها على ذلك المقعد بعد إنتهاء الحفل، لذلك قررت أن

تذهب إلى محطة الباص وتبقى هناك حتى الصباح. ذلك لأن محطة الباص تستمر باستقبال الناس على مدار أربع وعشرين ساعة، وبعد ذلك...

أخذت تتساءل فيما عليها فعله، إذ أن فكرة قضائها الليل في محطة الباص أرعبتها، فأخذت ترتجف ثانية وفكرت بالاتصال هاتفياً بالعمة جاكي، التي تعرف أنها ستكون قلقة إلى حد الجنون الآن. أجل، عليها الإتصال بها.

وما أن نظرت أمامها حتى رأت غاري يتوجه نحوها، مرتدياً سترة مقلمة، وبنطال من المخمل. أما لون شعره الأشقر، فقد بدا اغمق قليلاً بسبب لون السماء الرمادي الذي سببته الغيوم المتلبدة، وامواج البحر تعلو وتعلو بسبب شدة الرياح.

كان غاري يحدق بها، ويمشي نحوها مسرعاً، ظناً منه أنها قد تهرب وقال: «والدتي على وشك أن تفقد صوابها.» وعندما وصل إليها، صرخ قائلاً: «أي حماقة هي هذه؟»

فركت سوزي عينيها، وإذا بالدموع تنهمر منهما. فجلس غاري قربها على المقعد، فإذا بها تطلق تنهيدة من أعماقها. «هيا، يا سوزي...» ثم ناولها منديله، فاستخدمته لتمسح دموعها. وأضاف: «لقد تلطخ وجهك بالكحل الذي سال من حول عينيك.»

فاضطربت حين تخيلت صورة وجهها.

«لمَ فعلتِ ذلك؟» ثم أخذ المنديل من يدها ومسح خدها الأيسر برفق.

وإذا بها ترتجف ثم تقول بصوت يشبه الهمس: «إنه يوم مولدي. كان والدي يتصل بي دائماً. كان دائماً... لقد وعدني.»

www.liilas.com

وضع غاري المنديل في جيبه وقال: «أنت تعلمين أنه يكرّس معظم أوقاته للأخبار عندما تكون هناك أحداث مهمة.»

«أجل. لقد كتبت له. الشهر الماضي رسالة سألته فيها إذا ما كنت استطيع أن أعود للعيش معه كما كنا عندما كانت والدتي لاتزال على قيد الحياة. أتعتقد أنه لم يأت لهذا السبب؟ لأنه لم يكن يريد...»

«من الأفضل لك أن تبقي مع والدتي. هلاّ تزال التذاكر معك؟»

أومأت برأسها.

«الإثنتان؟»

أومأت برأسها ثانية.

«دعينا نتناول العشاء أولاً. سنتصل بوالدتي من المطعم ونعلمها أنك بخير.»

«ستحضر الحفل معي؟»

ابتسم حينها وقال: «طبعاً، فهو يوم جميل، أليس كذلك؟»

وفي تلك اللحظة، تحول هذا اليوم إلى يوم شديد الروعة، فهي برفقة غاري، تراقبه وهو يقود سيارته في شوارع إلدوفر بمهارة عالية. ومن ثم يجلسان معاً إلى طاولة في مطعم أنيق، والموسيقى الهادئة تزيد من جمال المكان، هذا بالإضافة إلى صوت غاري، طبعاً. كانت سوزي ترتدي الزي المناسب للاحتفال الذي نسيه والدها، لكن ذلك لم يعد مهماً بعد الآن. وبما أنها وضعت بعض مساحيق التجميل على وجهها، فإن ذلك قد ساعدها على أن تبدو أكبر من عمرها.

إذاً، ها أن بعضاً من أحلامها تتحقق، فهي بصحبة غاري، يتناولان العشاء على ضوء الشموع في مطعم فخم. وكانت كذلك تستمتع بالحديث إليه، فلطالما تمنت أن يحدث هذا، لقد كان يحدثها عن العالم وعما سيحدث لاحقاً، وينقل لها توقعاته فيما يخص القرن الواحد والعشرين.

أوصلها إلى الفندق بعد حضورهما الحفل الموسيقي وقال لها وهما يمشيان في الممر المؤدي إلى غرفتها: «سآتي لأقلك في العاشرة صباحاً.» كانا قد اتفقا ان يعود بها إلى المنزل عبر جزيرة إلدوفر، ومن ثم إلى المجمع الصغير في جزيرة بوتس.

«غاري؟»

«هاه؟»

أخذت سوزي تتذكر كيف كانا يتسلقان تلالاً عالية في طفولتهما، وكيف كان يعود بها إلى المنزل حين تبقى إلى وقت متأخر خارجه. والآن أنقذها من حماقتها عندما ذهبت دون أي هدف واضح في عقلها. لذلك فهي تعتقد أنه لايزال يظنها طفلة صغيرة، لكنها تمنت أن يتغير ذلك يوماً ما.

أطبقت يديها على بعضهما وشعرت بخجل شديد بدا واضحاً على وجهها حين سألته: «أتستطيع... هل بإمكانك أن تسامحني... بسبب تصرفي هذا؟»

«بالتأكيد. سيكون هناك رسالة من والدك حين ترجعين إلى المنزل، أتعلمين؟»

«غاري.»

«ماذا؟»

«هل ما زلت مع آرلين؟»

www.liilas.com

«إنسِ آرلين.» ورسم ابتسامة واهية على فمه وقال: «كنت محقة، إنها خرقاء.»

«هل هناك فتاة أخرى؟»

نظر إليها ولم يجبها، وبقي هذا السؤال راسخاً في عقلها.

دخلت سوزي إلى غرفتها واستلقت على السرير وراحت تتساءل عن شكل وشخصية صديقات غاري، غير انه سيستغرقها وقتاً طويلاً قبل أن يبدأ بالنظر إليها على انها فتاة ناضجة وليست طفلة. لكنها لن تكون ناضجة كفاية في السادسة عشرة من عمرها، لأنه سيكون حينها في الثالثة والعشرين، لذلك فإنه سيكون لا يزال ينظر إليها على انها طفلة. ربما في الثامنة عشرة. التاسعة عشرة.

كانت تشاهد نشرة الأخبار لترى والدها وما بجعبته من أخبار، لكنها الآن بدأت بمتابعة الأخبار من أجل جمع المعلومات والمعرفة العامة. واستغلت مالها الذي تجنيه من عملها كحاضنة أطفال لدفع قيمة اشتراك في مجلتين مهمتين تتناولان القضايا الاقتصادية، السياسية، الفكرية والعلمية. كانت تقرأ هاتين المجلتين، حتى إذا أتى غاري في إجازته المعتادة، تناقشه في مواضيع متعددة، فينظر إليها بدهشة.

«إني أقرأ وأتابع الأخبار فقط من أجل الفضول وحب الاستطلاع.»

كانت سوزي ترسم لوحة تمثل محطة التلغراف بالألوان المائية عندما جاء غاري في إجازته المعتادة. وأمضى معظم الوقت مسترخياً على تلك الأريكة الموجودة في غرفة

العلية، التي كانت تستعملها سوزي كمرسم، يتحدث إليها ويراقبها وهي ترسم. وقبل عودته إلى إلدوفر، تحدث مع صاحب متجر لبيع الأعمال الحرفية واليدوية في الجزيرة. ثم قال لها: «سيعرض لك لوحتك بعد ان تنتهي من رسمها. من يدري؟ قد يشتريها أحدهم.»

أنهت سوزي العمل في لوحتها في شهر نيسان (ابريل). ولكَمْ كانت سعادتها عارمة عندما اشتراها أحد السوّاح في الاسبوع الأول لشهر حزيران (يونيو). لذلك بدأت تفكر بالانتساب إلى معهد الفنون عوضاً عن الدراسة الجامعية. فهي ستكون في السابعة عشرة من عمرها حين تتخرج من المدرسة، ولن يفكر غاري بالزواج منها.

في السنة التالية، ذهبت سوزي لحضور حفل تخرج غاري برفقة العمة جاكي. وكان والدها هناك أيضاً، حيث كانت تلك إحدى زياراته النادرة. تصافح هو وغاري وقال: «أتوقع لك مستقبلاً زاهراً.» لقد بدا والدها فخوراً بغاري وكأنه ولده. وبالنسبة إلى سوزي، بدا لها والدها رجلاً غريباً، رجل تعرفه من خلال نشرات الأخبار معرفة أفضل من معرفته كشخص. هذا لا يعني أنها لا تحبه بل على العكس، لكنها تعتقد أنها لن تعرفه أبداً أكثر من معرفتها به الآن.

سافر والدها إلى فرجينيا بعد مرور ساعتين على حفل تخرج غاري. وفي اليوم التالي، سافر غاري إلى مونتريال، حيث منح فرصة للعمل في شبكة التلفزة سي. بي. سي. وأثناء وجودهما في المطار، سألته سوزي إذا ما كانت ستراه خلال نشرات الأخبار، فضحك وقال: «عليّ أن

أبداً من الصفر. وسيكون عليك أن تنتظري إلى أن أصل إلى تلك المرتبة.» آه... متى سيكف غاري عن النظر إليها كأنها أخته التي تصغره سناً، أو كأنها ما زالت طفلة، انها الآن في الخامسة عشرة من عمرها. صورة غاري التي رسمتها له في خيالها تختلف عن صورته الحقيقية. فهو محب كالرجال الذين تقرأ عنهم في الروايات. ويوماً ما ستكبر سوزي وسيتزوج منها.

تخرّجت سوزي من المدرسة عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها، وقد كان حفل التخرج رائعاً لأن كل الأشخاص الذين تحبهم سوزي كانوا هناك... غاري والعمة جاكي وحتى والدها. فقد تسلم غاري عملاً جديداً في مركز شبكة التلفزة في لوس أنجلوس، واستعاد والدها عمله في مركز شبكة التلفزة في باريس بعد أن أمضى عامين في هاواي... لكن كلاهما أتيا من أجل حضور حفل تخرّجها. وبعد أن استلمت شهادتها، اخبرت والدها وغاري عن رغبتها في الانتساب إلى معهد الفنون. وقالت في نفسها ان نظرات غاري لها تختلف عن سابقاتها، هذا بالإضافة إلى الإحساس الذي كانت تشعر به.

وإذا كان إعتقادها صحيحاً، فإن منعها إياه من العودة إلى لوس انجلوس في اليوم التالي، أو منعه من اصطحاب تلك الشقراء السانجة معه إلى المزرعة عندما سيأتي في اجازته ليس كافياً.

«شيرلي كرافت.»

إبتسمت سونيا ابتسامة واهية، لكن عينيها كانتا ترمقان غاري بنظرات وقحة.

تمتمت العمة جاكي: «إذا تزوج غاري منها، فإننا سنكون في ورطة.»

وبعد العطلة، عادت سوزي إلى معهد الفنون في إلدوفر. وعاد غاري وشيرلي إلى لوس أنجلوس. كانت سوزي الآن ناضجة ما فيه الكفاية كي تفهم أنهما حبيبين. وفي الأسابيع اللاحقة، واجهت سوزي حقيقة أحلامها الطفولية الهشة فيما يخص غاري، وأدركت أنها ليست سوى أحلام مستحيلة. وأنها لن تجد مدخلاً إلى عالمه، وأنه لن ينظر إليها كما ينظر لشيرلي أبداً.

وقد اتشحت أيامها المقبلة بالسواد واليأس. وطيلة هذه السنة، قام غاري بثلاث زيارات قصيرة، أمضى خلال كل منها يوماً برفقة والدته في جزيرة توبس وبضعة ساعات مع سوزي. تخلل هذه الزيارات، بعض الاتصالات الهاتفية، سمعت خلالها صوته، وتبادلت معه الأحاديث، لكنها كانت تدرك هدف هذه الإتصالات، فهو يهتم لأمرها، كأخ أو ابن عمة وليس كما كانت تحلم هي.

حصلت سوزي على وظيفة نهارية في معرض لبيع اللوحات، وبحصولها على تلك الوظيفة بالإضافة إلى معهد الفنون وأصدقائها الجدد، أصبحت منشغلة تماماً مثل غاري ووالدها. وقد أصبح لديها علاقات اجتماعية واسعة. وكانت تأتي لزيارة العمة جاكي في جزيرة توبس في العطل والمناسبات الرسمية. وفي التاسع عشر من عمرها، ذهبت سوزي إلى والدها في باريس لزيارته، وكان ذلك بمثابة هدية من والدها.

وخلال السنة الأكاديمية الثالثة، تعرفت إلى طالب في

www.liilas.com

الحقوق يدعى بيترسكوت. كان فارع القامة، أشقر الشعر. عندما رأته للمرة الأولى يقف على السلم، انحبست أنفاسها إذ أنها ظنته غاري. وبعد مرور اسابيع على لقائهما الأول، بدأت تعتقد أنها مغرمة به.

وعندما أخبرتها العمة جاكي أن غاري سيأتي مصطحباً معه شيرلي للمرة الثانية لقضاء الاجازة، قامت سوزي بدعوة بيتر. تجهم وجه غاري لرؤيته، لكن من الواضح ان ذلك لم يكن بداعي الغيرة، لأن غاري اصطحب بيتر في نزهة قرب الشاطىء، وقال لها بعد عودتهما: «إنه شخص لا بأس به.»

وخلال عودتهما إلى إلدوفر، قال بيتر لسوزي أنه كان سعيداً بلقاء غاري والتحدث إليه، وفي قلبه نية شريفة، وإلا لما كان استطاع مواجهته. وقال لها أنه سيتخرج من كلية الحقوق بعد عدة أشهر.

تخرج بيتر من كلية الحقوق، ولم يمضِ اسبوع حتى تقدم يطلب يد سوزي، فأبدت موافقتها واتصلت بغاري في اليوم التالي لتخبره بالأمر.

قال غاري محذراً إياها: «سيكون عليك العيش في المدينة. بيتر شخص لا بأس به، لكن حياة المدينة لا تناسبك أبداً. انتظري عدة سنوات بعد، يا سوزي. تروّي وانهي دراستك أولاً. لا تستعجلي.»

«ماذا عن شيرلي؟ هل ستتزوج منها؟»

«سأذهب إلى أوروبا الشهر المقبل، سأكون مراسلاً تليفزيونياً لمركز المحطة في باريس.»

«ألن ترافقك شيرلي؟»

«لا.» نطقها بطريقة تجعلها تفهم أن علاقته بشيرلي ستنتهي، وأن هناك فتاة اخرى في باريس على الأرجح.

سألته بصوت أجش: «هل ستحضر حفل زفافي؟»

«أرجئي ذلك لبضعة أعوام، يا سوزي. فأنت في العشرين من عمرك.»

أجهشت سوزي بالبكاء بعد انتهاء المكالمة. ذلك لأن غاري لم يهتم ليعرف ما إذا كانت مغرمة ببيتر على الإطلاق. وكل ما قاله لها انه أحب بيتر وطلب منها التروّي. غير أنه حين أخبرها أنه مسافر إلى باريس، كانت على يقين أنه إذا طلب منها ان تكونْ هي معه في باريس فستلغي دراستها وتترك بيتر وكل شيء وتذهب إليه.

وفي اليوم التالي أخبرت بيتر أنها لا تستطيع الزواج منه.

فهي في الحقيقة لا تستطيع أن تتزوج من رجل، كل ما أعجبها فيه شعره الأشقر وكتفيه العريضين، وشبه بسيط من غاري، الذي ذهب إلى الجانب الآخر من العالم ولم يحن لها أو يفتقدها.

في اوائل ايام شهر نسيان (ابريل)، خرجت العمة جاكي من منزلها صباحاً لإتمام بعض الأمور في الحديقة. وبعد مرور عدة ساعات، وجدها أحد الجيران مستلقية على أرض كانت تحرثها. لقد أصيبت بنوبة قلبية.

جاء غاري من باريس في اليوم التالي، أما والد سوزي فقد أرسل الأزهار.

قبل عودة غاري إلى أوروبا، اصطحب سوزي للعشاء في مطعم قريب من المحيط، وقال لها بصوت هادىء: «لقد

www.liilas.com

طلبت من مايك كمب الإهتمام بشؤون المزرعة، فهو لطالما كان مساعد والدتي الأول في ذلك. وديبي ستهتم بشؤون المنزل. لقد تحدثتما أنت ووالدتي في موضوع عودتك للعيش في المنزل بعد أن تنهي دراستك في المعهد. أود منك أن تفعلي ذلك، يا سوزي. فبإمكانك أن ترسمي هناك، وتبيعي لوحاتك للسواح من خلال عرضك لهم في معرض البلدة.» ثم قام بحركة تدل نوعاً ما على أن مزرعة ومنزل جزيرة توبس لا قيمة لهما دون والدته، وأضاف: «وهي تريدك أن تبني منزلك الخاص هناك. أريد منك فعل ذلك أيضاً.»

«حسناً، شكراً.» أرادت أن تقول له انها آسفة، ذلك لأن العمة جاكي كانت الأم الوحيدة بالنسبة إليها منذ أن كانت يانعة جداً. لكنها لم تعرف أي كلمات تقول، وفي النهاية إفترقا دون أن تقول أي كلمة، ليتركها بعد ذلك في غرفتها حيث أخذت تبكي، لأن الأشخاص الوحيدين المتبقين لها... غاري ووالدها... بعيدين عنها جداً ويمكنها رؤيتهما فقط على شاشة التلفزة.

بدأت سوزي دراستها للسنة الأكاديمية الأخيرة في شهر أيلول (سبتمبر) وهي تعي أموراً مهمة، انها في العشرين من عمرها وهي لاتزال تبحث عن ذاتها، خطوبتها التي تمت لبيتر حصلت وكأنها لم تحصل أبداً، والإمرأة الوحيدة التي حلت مكان والدتها قد رحلت إلى الأبد ما عدا في ذاكرتها، فدفنت نفسها في دروسها، وفي رسم لوحة مائية حيث يقام لمعهدها معرضاً.

وكانت كذلك تترقب نشرات الأخبار لكن ليس المحلية، بل

المنقولة من مختلف أنحاء العالم. ذلك لأنه كان يوجد في الشقة التي كانت تعيش فيها قمراً صناعياً، وكانت سوزي تعرف من خلال والدها وغاري الأوقات التي يتم خلالها بث نشرات خارجية من أوروبا إلى مختلف محطات التلفزة في أمريكا الشمالية. لكن هذه النشرات كانت تخضع للرقابة قبل عرضها في بلدانها الأصلية، وكانت هي تتوق لمشاهدة تلك اللحظات الثمينة قبل أن تبدأ المقابلة... غاري أو والدها يتحدث إلى شخص آخر في الجانب الآخر من العالم بصوت أجوف ولكن بوجه معبر. أو في بعض الأحيان، كان يقف دون القيام بأي شيء بإنتظار إشارة البدء. بدا لها هذان الرجلان حقيقيان للغاية في لحظات البث تلك من الجانب الآخر من العالم، والمحكوم عليها بالإختفاء قبل بث نشرة الأخبار الرسمية.

كانت تشاهد إحدى تلك النشرات الواردة من باريس في آخر يوم من شهر أيلول (سبتمبر)، تشاهد والدها يقف على الرصيف أمام منزل كبير، يحتجز فيه بعض الارهابيين عائلة بأكملها، ووراء والدها تظهر حركة مرتبكة لرجال الشرطة وبعض الرسميين.

كان هناك سبعة أشخاص محتجزين في ذلك المنزل، هذا كما ورد على لسان والدها. وقد رأت والدها يغير مكانه وكأنه يريد الإختباء من شيء ما، وقد بدا نحيلاً أكثر مما هو عادة، كذلك بدا وكأنه أكبر سناً. لذلك قررت أنها في شهر كانون الأول (ديسمبر) من هذا العام ستسافر إلى باريس مرة ثانية من أجل الإجتماع بوالدها.

حجزت تذكرة إلى جزيرة توبس وكانت تتوق للحظة التي

www.liilas.com

تذهب فيها، متساءلة إذا ما كانت سترى غاري خلال إقامتها هناك.

وإذا بها تسمع أصوات طلقات نارية عبر شاشة التلفزة، ثم المزيد منها لترى بعد ذلك عيني جلبرت ووكر تتسعان من الصدمة قبل أن يقع على الأرض. فتساءلت في نفسها إذا ما كان أصيب بنوبة قلبية مثل العمة جاكي. وقفزت عن كرسيها لتصل إلى منتصف غرفة الجلوس بسرعة البرق، وكأنها تحاول الوصول إليه، كأنها تستطيع مساعدته، وإذا بصوت لم تميزه يصرخ قائلاً: «هناك إطلاق نار! لقد أصيب جلبرت!»

لقد سبق لها ورأت مشاهد عنف من قبل، لكن لطالما كانت تلك المشاهد تصور مآسي أشخاص آخرين. لكنها لم تصدق حين قال ذلك الصوت «اطلاق نار.» لكن تلك الأصوات التي سمعتها، لم تبد كما كانت تتوقع أن يكون صوت الرصاص. ورأت رجلاً يهرع نحو والدها. أما غاري، فقد كان في ذلك الشارع في باريس. لقد رأت ظهره حين انحنى ليرى ما حدث لوالدها، وقالت لنفسها ان كل شيء سيكون على مايرام، ذلك لأن غاري موجود هناك.

ظلت سوزي قابعة في غرفة الجلوس، لأنها تدرك أن ليس هناك من تتصل به، ولا توجد طريقة ما لتحصل على معلومات. كان غاري مع والدها، وسيتصل بها. لذلك قررت ألا تشغل الهاتف، لكنها قامت بإتصال سريع لوكالة سفر وطلبت حجز مكان لها في أول رحلة إلى باريس في اليوم التالي. لأنه إذا كان والدها في المستشفى، فإنها لا بد من ان تقوم بزيارته.

وراحت تنتظر وتنتظر. غاري سيتصل، هي متأكدة من ذلك، فهي تثق به، وانتظرت المزيد من الوقت وهي تراقب قناة ارسال الأقمار الصناعية، دون أن تبث أي صور أخرى. وبعد مرور فترة من الوقت، نقلت المحطة إلى القناة المحلية، لتسمع مذيعاً يقول بوتيرة واحدة من الصوت أن مراسلاً تليفزيونياً من مركز المحطة في باريس قد قتل برصاص ارهابيين، دون أن يدلي بأي اسماء او معلومات، او عرض للمشهد الذي رأته من قبل، والدها يقع على الأرض وصوت اطلاق النار يسمع من حوله.

رن جرس الهاتف، رفعت السماعة وهي ترتجف بينما كانت تسمع صوت غاري يقول: «هل أنت لوحدك، يا سوزي؟»

فعرفت الحقيقة حينئذٍ، ولم تعد بحاجة لكلماته كي تعرف أن والدها قد مات.

«أخبرني... غاري أخبرني.»

اخبرها بكلمات قليلة وبسرعة أنه تم اطلاق نار من بعض الارهابيين، فأصيب والدها وتوفي بعد دقائق.

«هل ريتا في منزلها؟ أليس اسمها ريتا، تلك الفتاة التي تسكن في الشقة المحاذية لشقتك؟»

لكنها لم تكن تريد أي شخص، بل غاري فقط.

«سوزي؟ كلميني. هل ريتا في منزلها؟»

«سآتي إلى باريس.»

«لا. سأكون معك بعد غد. وسأحضر جثة والدك معي. إذهبي إلى ريتا واطلبي منها أن تقضي الليلة معك، يا سوزي، حالما أقفل الخط. اتعدينني بذلك؟»

www.liilas.com

كانت ترتجف، وتشعر بألم مبرح في داخلها، حين همست قائلة: «أنا بحاجة إليك.»

«ساكون معك. وسأهتم بكل شيء.»

وبعد مرور ساعات، جاء مبعوث من وزارة الخارجية إلى منزلها وأبلغها بوفاة والدها برصاص أحد الإرهابيين في أحد شوارع باريس.

الفصل الثالث

«من الأفضل لنا أن نتزوج.»

كانت سوزي في طريقها إلى غرفة الجلوس بعد ان كانت في المطبخ عندما قال غاري كلماته تلك، وهي تحمل صينية في يدها وسألت: «أترغب بقليل من القهوة؟» لكنه لم يكن قد أجابها عندما هرعت إلى المطبخ لتحضيرها. فقد كانت بحاجة لشيء يهدئها في اللحظة التي يبدأ الحديث فيها عن المشاعر.

عندما دخلت غرفة الجلوس والصينية في يدها، كان غاري يقف قرب النافذة منحني الرأس، فأدركت انه كان ينظر إلى الشارع. وقد كان على بعد عشرة اقدام منها عندما قال كلماته تلك، دون ان ينظر اليها. وقد بدا لها من عمق صوته انه يتحدث اليها من الجانب الآخر من العالم.

فجفلت سوزي لسماعها ذلك، إذ انهما كانا يتحدثان عن مستقبلها قبل دقائق قليلة، حين سألها: «ماذا ستفعلين؟ ما هي مشاريعك المستقبلية؟»

أجابت: «سأنهي دراستي، مازال أمامي هذه السنة فقط. ربما سيكون علي ان ابحث عن وظيفة اذا لم يكن هناك ما يكفي من المال.»

«لكنني متأكد ان لوالدك بوليصة تأمين؟»

ورغم انها لم تنظر إلى وجهه، الا انها شعرت بانزعاجه من نبرة صوته، وقالت: «أعتقد... لا أعرف

يمكنني ان اعمل دواماً كاملاً في المعرض اذا ما اضطررت لذلك.»

تحرك غاري من مكانه بعصبية، فظنت للحظة انه غاضب منها وقال: «اذا لم يكن هناك ما يكفي... اذا كنت تريدين انهاء دراستك، فأنا اؤكد لك انك ستستطيعين.»

هزت رأسها وقالت: «لا استطيع ان آخذ المال منك.»

فوضع يديه في جيبي بنطاله بعصبية لم تفهم سوزي سببها، وقال: «لم لا؟»

«أنا... اترغب بقليل من القهوة؟» ثم هرعت إلى المطبخ ولم تعد الا حينما جهزت القهوة.

قال بهدوء دون ان ينظر إليها: «ستقبلين مساعدتي لك اذا تزوجنا. أعتقد انه من الأفضل لنا ان نتزوج.»

فشدت قبضتها على الصينية وحدقت بظهره، متمنية لو يكرر ما قاله مرة ثانية. ذلك لأن الرجل لا يطلب الزواج من امرأة دون أن ينظر إليها وبصوت ناء عنها ملايين الأميال، فاستدار ليصبح مواجهاً لها. لقد امضت سوزي ساعات طويلة تشاهده عبر شاشة التلفزة، وهي تشعر أن شخصيته الحقيقية هي تلك التي تظهر على الشاشة إلى حد كبير، بينما الشخص الذي امامها في هذه اللحظة هو الخيال. أو ربما ليس هناك أي شيء حقيقي. فقد توفي والدها، وتم دفن العمة جاكي في فصل الربيع الماضي، ويتم العناية بالمزرعة بواسطة الجيران، وغاري شخص غريب تراه عبر الشاشة باستثناء انه هنا. فهي تستطيع أن تشعر بقلقه.

«أعرف أن الوقت غير مناسب.» فنظرت إلى عينيه لتحاول قراءة ما فيهما، لكنها لم تجد شيئاً. وتابع كلامه

قائلاً: «لا أستطيع أن أبقى هنا لوقت طويل، يا سوزي، علي أن أعود إلى باريس في غضون أيام قليلة. وأنت لست في حالة تسمح لك باتخاذ القرارات. أعرف ذلك.» ثم راح يجول بنظره في أنحاء الغرفة، ثم التقت عيناه بعينيها مرة ثانية وقال: «لا أستطيع ان أتركك هنا وحدك. وأعتقد أن زواجنا امراً منطقياً، لهذا السبب بالتحديد.»

«أنا... لماذا؟» لم يجب غاري على سؤالها. فقالت غاضبة: «سأكون بخير دون... أنا لست طفلة، يا غاري.»

وللحظة فقط، كان ينظر إليها بعينين ملتهبتين من شدة الحزن، وراح يتأملها بامعان وعاطفة. فشعرت بوجهها يتورد وشعرت كذلك بالارتباك لأنها لم تتوقع ان ينظر إليها بهذه الطريقة او ترى في عينيه ما تراه الآن. ثم اختفى ذلك فجأة، فانحنى وأمسك بيده مجسماً صغيراً من الطين كانت قد صنعته في المعهد، لكنه لم يكن مطلياً بعد، وأخذ يتأمل ذلك المجسم وقال: «لقد كنت في وحدة موحشة. ولم تعتنِ بنفسك كما يجب. وأنا...» وضع المجسم على الطاولة برفق وتابع: «ليس هناك من شخص آخر، أم أن هناك هناك احد ما؟» رفع رأسه ونظر إليها ثم تابع قائلاً: «لقد حضر بيتر الجنازة، ومن الطريقة التي كان ينظر بها إليك... هل أنت مغرمة به؟»

فأجابت بتلعثم: «لا.» وتساءلت عن سبب خوفها الشديد حين طلب منها الزواج به، وهي التي كانت تحلم بذلك طيلة سنوات عديدة. اقترب منها وأخذ الصينية، فأخذت تنظر إليه وهو يضعها على الطاولة.

«أعرف أن الوقت غير مناسب، يا سوزي، لكنه الوقت الوحيد الذي املكه.»

www.liilas.com

«نحن أهل وأصدقاء طفولة.» وحاولت جاهدة أن تخفي خوفها، وأضافت: «أنت لم ترغب أبداً... أنت...» قاطعها قائلاً: «لا يمكنني أن أتركك هنا، يا سوزي، من الصعب الذهاب إلى الكلية يومياً والعودة إلى هذا المكان الموحش. لقد قلت لي العام المنصرم انك تكرهين الحياة في المدينة وأنك جئت إلى إلدوفر فقط من اجل معهد الفنون. والآن...»

قام بحركة عصبية مما نكرها به عندما كان فتياً وهو غاضب لأن ابن الجيران ضايقها، غاري الذي كان يهتم لأمرها وكأنها اهم شخص في حياته.

«لا يمكنني أن أتركك هنا، ليس في هذه الحالة، وحيدة وسط مليوني نسمة. تعالي معي، يا سوزي. عودي معي إلى اوروبا.»

لم تدرِ ماذا تقول، فهو الشخص الوحيد الذي بقي لها في هذا العالم، لكنها كانت تخاف ان تسأله لماذا يريدها ان تفعل ذلك. لماذا الآن؟

«لكنك... نحن لم...»

«لكن يمكننا ذلك.»

وإذا بها تشعر أن ألم الأيام القليلة الماضية قد ولى بطلب يدها للزواج، وبدأت دموع الفرح تنهمر من عينيها، فنظر غاري في عينيها وقال: «أرأيت. يمكن أن ينجح ذلك. نحن أصدقاء، وأنا أعدك أن زواجنا سينجح، فأنت امرأة جميلة، ورقيقة.»

همست قائلة: «لقد اخبرتني سابقاً أنك لا تريد الزواج.»

«لكن الزواج منك امر مختلف. فأنت تعرفين طبيعة نمط حياتي، وتفهمين طبيعة عملي... وأنا أرفض أن أتركك هنا

وحدك.» نظر إليها والعاطفة تسيطر عليه، ثم أضاف: «سأسوي الأمور المتعلقة برخصة العمل خاصتك.»

لقد كان ذلك حلمها، لكنها تخيلت أن تحصد السعادة، وليس الدموع على وجهها بسبب وفاة والدها. لكن كان هناك أيضاً عذوبة كلماته، وحنانه الذي يغمرها.

«أنا لا... غاري، هل أنت واثق؟»

«سأهتم بكل شيء. وسأهتم بك. وان اردت أن تتابعي دراسة الفنون، فهل هناك من مكان افضل من باريس؟»

«غاري؟ هل تحبني؟»

ابتسم لها وقال: «أنا اهتم لأمرك ولن أتركك هنا في هذه الحالة. أعرف انك تمرين بوقت عصيب، وأنا لن اتوقع منك القيام بأي شيء. لن أجبرك على تقديم ما لست قادرة بعد على تقديمه.»

كان تصرفها خلال الأيام القليلة التالية آلياً، وهي تتوقع في أي لحظة ان تكتشف أنه ما من امر كان حقيقة، وأن والدها لم يمت، وأن غاري لم يطلب الزواج منها.

الزواج. لقد كان حلماً لطالما راودها، رغم انه سيقام مظللاً بحزنها على والدها. لقد قال غاري «سأعتني بك.» لكنه لم يقل انه يحبها. فهو يهتم لأمرها والاهتمام هو الحب، أليس كذلك؟ فالانسان لا يتزوج دون حب. خصوصاً غاري، لأنه قد اقسم يوماً على عدم الزواج ابداً.

على الأقل جواز سفرها لا يزال صالحاً، وما تبقى غير مهم. فقد قال غاري انه سيهتم بكل شيء. رغم انها كانت تعرف بضرورة ابلاغها لصاحب الملك وادارة المعهد بالأمر، الا انها لم تحرك ساكناً.

www.liilas.com

لم يقدم لها غاري الكثير منذ ان أعلن رغبته بالزواج منها. كل ما قام به هو حصوله على رخصة العمل خاصتها، ثم اختفى لمدة يومين حين توجه إلى فرجينيا حيث كان عليه ان يلتقي بشخص في محطة التلفزة. ستكون حياتهما على هذا الشكل، حتى في باريس، سيتوجه فجأة إلى مكان ما دون سابق انذار، لكنه سيرجع إلى المنزل من أجلها.

فهو يحبها. لماذا اذاً عساه يكون تزوجها؟ واذا كان يحبها، فانه سيرجع دائماً من اجلها. لطالما قالت لنفسها ذلك، لكنها كانت تشعر بقلق وبرودة شديدين في داخلها. فقد حاولت ان تقول له انه سيكون من الأفضل لهما لو يتريثان قليلاً. ذلك لأنه ليس منطقياً ان تتزوج به وفي داخلها شيء من القلق. فقد كانت تتمنى ان تكون زوجته منذ أن كانت ناضجة ما فيه الكفاية لتحلم أحلاماً رومانسية، لكنها كانت تحب وتضحك في أحلامها، وليست متجمدة من حزنها على والدها، السبب الذي جعله مجبراً على الاعتناء بها.

حاولت أن تباشر حياتها بشكل طبيعي، لكنها كانت تشعر وكأن هناك ما يعزل بينها وبين الحياة. وكانت غير قادرة على الاحساس بأي شيء. والأمر الوحيد الذي أحست به هو غاري، وحبها له، وطلبه للزواج منها.

استفاقت في الليلة التي سبقت زفافها، وجلست مرعوبة والعرق البارد يتصبب منها، وصدى صوت بكائها يتردد في غرفتها، مرددة اسم غاري، وكذلك اسم والدها. جلست في سريرها والغطاء يلفها وهي ترتجف في آخر ليلة من حياتها كفتاة عزباء. فقد كانت تشعر وكأن ذلك المشهد الذي رأته في باريس عبر الأقمار الصناعية حياً امامها. شعرت

ان الحلم يحدث امامها، وقد كانت تلك الحقيقة ممزوجة بالرعب. لقد قتل والدها بينما كانت تشاهده عبر شاشة التلفزة... وشعرت بالدموع تنهمر على وجهها وسمعت صوت بكائها لحزنها الشديد على والدها.

ماذا لو رأت غاري يموت يوماً ما؟

فهو يهتم لأمرها. لقد كان حلمها، لكنه في الحلم كان يحبها. لقد طلب منها الزواج فعلاً. لكنها، وبينما هي في سريرها ترتجف، كانت تدرك ان تلك البرودة قد اعترتها منذ ان رأت والدها يقتل برصاصة ارهابي عبر شاشة التلفزة. وقد وافقت على كل شيء اقترحه غاري دون أي تعليق. وها هي الآن خائفة.

لقد فاجأها بالأمر، فلطالما عاملها وكأنها اخته، وها هو الآن يطلب الزواج منها، لكنه نادراً ما حدثها منذ ان طلب الزواج منها. وكما هي العادة، فان الشخصين عند عقد قرانهما يعدان بعضهما بالحب. لكنها سمعته اكثر من مرة يقول انه لا يصدق بوجود ذلك الحب الأبدي.

اتصل في التاسعة صباحاً وسألها: «هل كل شيء على ما يرام؟» وقد كان سؤاله هذا وكأنه من ضمن الأعمال المتعددة على جدول اعماله و الذي عليه القيام بها.

«أجل.» لكنها كانت تكذب.

«انني في محطة البث، وسأغيب لبضعة أيام بعد. قد نذهب إلى جزيرة توبس.»

لم تعلق سوزي على الموضوع، لكنها طلبت منه الذهاب إلى الجزيرة، فعلاً. فأجابها انه سيفعل إذا كان هناك وقت يسمح بذلك.

www.liilas.com

«سوزي؟»

«أنا أسمعك.»

«سوزي، هل تريدين الغاء الزواج؟»

لم تكن تريد الغاءه، بل كانت تريد التريث، حتى يتسنى لها معرفة حقيقة ما يشعر به نحوها. فهمست: «لا أريد الغاءه.»

صمت قليلاً، وكأنه يفكر في الكلمات التي سيقولها: «أعدك، يا سوزي، سينجح زواجنا.»

كان عقد قرانهما هادئاً. فقد عقدت قرانها على غاري ويليامز، وهي التي تحبه منذ ان كانت فتاة صغيرة. أما بالنسبة إلى تلك الاحاسيس الرهيبة التي كانت تشعر بها، فمردها إلى ضرورة قيامها بأعمال كثيرة بسرعة كبيرة، امور كان يجب ان تقوم بها خلال سفر غاري إلى فرجينيا، مثل حزم امتعتها وتسليم شقتها لصاحب الملك، واخطار ادارة المعهد بسبب تغيبها لمدة اسبوع، السبب ذاته الذي لن يجعلها تتم دراستها فيه.

فهي ستذهب للعيش في باريس مع زوجها.

وتذكرت سوزي عندما رأته مع آرلين قرب الشاطىء قبل عدة سنوات. وتذكرت كذلك كيف كانا يذهبان في القارب، وكيف كانا يلعبان على الشاطىء، وكيف كانا يقضيان معظم اوقاتهما مع بعضهما البعض، لدرجة انها لم تحتمل ان تطيل النظر إليهما، فركضت هاربة دون أن تفهم ما معنى هذه المشاعر. وبعد عدة سنوات، عندما أصبحت سوزي ناضجة كفاية، أدركت أن هذه المشاعر ما هي إلا مشاعر فتاة تغار على الانسان الذي تحب.

حتى ولو كان غاري يكن لسوزي مثل ذلك الحب، فإنه

يحسن السيطرة على مشاعره تماماً. ألم يعرف ان مشاعره هذه قد تخفف من شعورها بالوحدة وتزيد تأكيدها من أن زواجهما حقيقي.

وضع في يدها الخاتم الذي حرص على شرائه كحرصه على كل شيء آخر. لكنها لم تشتر له خاتماً. وذلك يدل على انها افصحت له عن رغبتها في اقامة حفلة اخرى، تماماً كرغبتها في زواج شرعي. وبما ان الزواج الشرعي والرحلة إلى جزيرة توبس كانا كل ما رغبت به، فانه نفذهما لها.

ذهبا إلى شقتها، فقالت معتذرة: «أنا لم أحزم امتعتي بعد.»

«أنا سأهتم بذلك.»

مضت أيام وهو يكرر في كل يوم الجملة ذاتها، وهي لم تعد ترغب بسماعها وتريد ان تطلب منه ان يتوقف عن قولها، لأن ذلك يجعلها تشعر انها لا تزال طفلة صغيرة، لكنها في العشرين من عمرها، وهي امرأة متزوجة الآن. استطاع ان يضيف الى ايام اجازته ثلاثة ايام أخرى، ورغم متطلبات عمله الضاغطة، كي يصطحبها إلى جزيرة توبس. ولو انه كان لديه مزيداً من الوقت لكانت استطاعت على الأقل ان تحزم امتعتها كلها وتسلم الشقة إلى صاحبها.

أشارت إلى حيث كانت قد وضعت حقيبتها صباح ذلك اليوم وقالت: «لقد وضعت في حقيبة صغيرة ما سأحتاجه لبضعة ايام فقط.»

نظر إليها بجدية وقال: «هل أنت متأكدة من رغبتك في الذهاب معي إلى باريس؟»

فتلعثمت ولم تستطع التفوه بكلمة واحدة فانحنى وحمل

الحقيبة وقال: «لا تفكري بذلك الآن. دعينا نذهب الى الجزيرة، حيث يمكنك الاسترخاء والراحة.»

خفف كلامه هذا من ارتباكها. وها هو الآن يجلس بقربها في القارب في طريقهما إلى جزيرة إلدوفر. وخلال ذلك الوقت، اخبرها عن رحلة نهرية بالقارب قام بها مرة إلى اميركا الجنوبية. اقشعر بدنها حين كان يصف لها أشكال الحشرات التي رآها. وعندما ابتسم اطلقت هي ضحكة خفيفة. وعندما رأت الدفء يبرق في عينيه، قالت لنفسها عندئذ ان كل شيء سيكون على خير ما يرام. فما وعدت به عند عقد القران كان حقيقياً، وهو ان تحبه، تحترمه وتخلص له. كل ما في الأمر انه كان بانتظار ان تستعيد هدوءها النفسي. وهي سعيدة لأنه ليس من ذلك النوع من الرجال الذين يستغلون حزن الآخرين.

توقفا للعشاء في مطعم هادىء على جزيرة إلدوفر، ثم شربا القهوة وهما يتبادلان الحديث حول لوحاتها والمنحوتات الطينية التي تصنعها.

«انني اتمرن على استخدام السنّاج في تلوين الصور التي أرسمها، فانا أحب الآثار التي تضفي روعة على الصور.» كان يستمع إليها بتركيز تام ومن ثم يطرح عليها الأسئلة. توقفا بعد ذلك في معرض للصور وراحا يناقشان مواضيع اللوحات الموجودة بود وحميمية وتفهم.

كانت سوزي مرتاحة جداً لذلك. لأن هناك الملايين من النساء يتمنين أن يكون لهن زوج حنون مثل غاري. لقد جاء من الطرف الآخر من العالم فقط لأنها اعلنت له عن حاجتها له، وهو سيصطحبها معه إلى حيث يعيش.

قبل حلول الظلام بقليل استقلا القارب الذي سينقلهما إلى جزيرة توبس الواقعة على الجهة المقابلة للجزيرة التي تكبرها حجماً، جزيرة إلدوفر.

وعندما كانا يقفان على ظهر القارب يتأملان شاطىء الجزيرة التي يتوجهان اليها، قالت سوزي: «أنا مسرورة لأننا في طريقنا إلى المزرعة، انه مكاني المفضل.»

رمقها غاري بنظرة حادة واحمر لون وجهه، لأنه كان سيأخذها معه إلى باريس، وهي كانت تتكلم وكأنها تريد الاستقرار في مكان مختلف. وقد كان احساسه صحيحاً، لأنها فعلاً ترغب في العيش على هذه الجزيرة لو كان غاري معها، لأن منزلها الحقيقي هو هنا. لكنها كانت تعرف أنه لن يعيش ابداً في مكان حيث الأخبار امراً يشاهد عبر شاشات التلفزة.

أينما يعيش غاري سيكون منزلها، وربما، يوماً ما عندما ينجبان الأطفال...

توجه الاثنان نحو المزرعة والصمت مخيماً عليهما تماماً. ولدى وصولهما، اوقف غاري سيارته في الموقف المخصص وخرج من السيارة ثم استدار وفتح لها الباب. وقفت تنتظره بصمت بينما كان يخرج الحقائب من صندوق السيارة، ثم مشيا سوياً نحو المنزل الذي ترعرعا فيه. ولم تكن سوزي تتخيل ان تأتي يوماً إلى هذا المنزل دون ان تكون العمة جاكي موجودة وصراخها يملأ المكان.

«لقد اخطرت مايك بقدومنا، وطلبت منه تحضير الطعام.»

«العمة جاكي...» واغمضت عينيها وشعرت تماماً كما كانت متأكدة من ان غاري يشعر به وقالت: «اشعر وكأنها ستنادينا في اي لحظة.»

www.liilas.com

وضع غاري الحقيبة وقال: «أتفتقدينها.»

«أجل. وأنت كذلك.»

لحقت سوزي به عندما صعد إلى الطابق العلوي وهو يحمل حقيبتها، التي وضعها في الغرفة التي كانت تنام فيها عندما كانت طفلة، ووضع حقيبته في غرفته، مما جعلها تدرك أنهما سيمضيان الليلة في غرفتين منفصلتين. فدخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب، ذلك لأنه قصد ان يتركها تنام بمفردها، وهي التي كانت تتوق كي يجتمعا ويتكلما كي تشعر بالسكينة مع زوجها، ألم يكن يرغب بالزواج منها؟ فهو لطيف معها، لكنها عندما نظرت في عينيه، لم تر فيهما ما كانت تشعر به، واعتراها الأسى لدى رؤيتها اياه يتركها وحدها ويتوجه إلى غرفته.

فتحت حقيبتها وبدأت بتوضيب اغراضها. ثم غيرت ملابسها التي كانت ترتديها اثناء السفر.

كان هو في الطابق السفلي عندما خرجت من غرفتها. فوقفت في الممر للحظات من التردد وهي تتساءل اذا ما كان عليها التوجه إلى هناك، ثم شبكت يديها وكان هذه الليلة من شهر أيلول (سبتمبر) أصبحت ليلة باردة.

دخلت إلى غرفة الجلوس بهدوء، حيث شعرت بالأرض باردة تحت قدميها العاريتين. فقد كانت في هذه الغرفة قبل بضعة سنوات، حيث كانت تجلس هناك تتحدث إلى غاري بينما كان يحاول ان يقرأ او يدرس. وهي تتذكر تماماً كيف كان يرتفع صوتها حين كانت تخبره عن مشاكلها في المدرسة، وعن استعدادها للاحتفال بقدوم والدها عندما يعدها بزيارة وكانت قد اخبرته كذلك عن أحلامها، وكيف

أنها ستكون رسامة لامعة يوماً ما. ولم يسخر منها يوماً رغم أنه كانت له توقعاته الخاصة. وفي المقابل استمعت اليه وهو يخبرها عن احلامه. كانت اكيدة من ان غاري سيحول احلامه هذه في المستقبل إلى حقيقة واقعة.

وتساءلت عما سيتحدثان عنه في السنين المقبلة، فيما اذا كانت له احلام جديدة الآن بما انه حقق طموحه القديم، فقد كان يحلم ان يصبح مراسلاً تلفزيونياً كوالدها، رغم ان ذلك لم يحقق له الشهرة التي لطالما حلم بها، ذلك لأنه كان يتمنى ان يكون حديث كل انسان ومرجعه ومفخرته. لكنه حقق طموحه، وستكون هي الآن برفقته، وإلى جانبه.

وقفت قرب النافذة وراحت تنظر إلى حيث الظلام، وهي تنصت الى الأصوات التي كانت تصدر نتيجة لما كان يقوم به في الطابق السفلي. وأخذت تفكر في حياتها الجديدة الغريبة التي ستباشرها بعد أيام عدة. فهو يظن انها معتادة على العيش في بيت رجل يعمل في الحقل التليفزيوني، لكنها لم تعش مع والدها منذ ان كانت في السادسة من عمرها، وهي لم تكن على علم بما يتوقعه منها غاري.

يبدو أنه لم يكن يتوقع أي شيء فيما يخص عاطفتها، ألم يدرك حقيقة مشاعرها في اليوم الذي تقدم فيه يطلب الزواج منها. غير أنها ظلت تذكر نفسها ان غاري متأكد من انهما يناسبان بعضهما.

شعرت باضطراب يعترينها حين سمعت وقع اقدامه على الدرج. وقد كان يتحرك في الطابق السفلي وكأنه كان يتحقق من أن الأبواب والشبابيك مقفلة باحكام. وها هو الآن يصعد إلى الطابق العلوي. أخذت تحدق من خلال

www.liilas.com

النافذة إلى مزرعة جيرانهم حيث كانت الانارة فيها ترسل ضوءاً خفيفاً من بين الأشجار. وبدأ صوت وقع اقدامه يقترب اكثر فاكثر، حتى وصل إلى الممر، ودخل بعد ذلك إلى حيث هي ثم توقف فجأة.

استدارت نحوه ببطء. فقد كان عليها أن تواجهه منذ أن دخل ومهما كانت الفكرة التي خطرت له في اللحظة التي رآها هنا، الا أن هذه الفكرة قد اصبحت مستحيلة بالنسبة اليها الآن، وإلى الأبد.

«سوزي...» ثم اقترب خطوتين اضافيتين داخل الغرفة وتوقف ثانية، والغضب باد على وجهه وتابع كلامه قائلاً: «ليس هناك من ضرورة لأن تفعلي ذلك.»

فاقتربت منه. كان يرتدي بنطالاً وقميصاً حريرياً ابيض، الثياب نفسها التي كان يرتديها عند عقد قرانهما. ولا بد أن يكون قد خلع سترته وربطة عنقه في الطابق السفلي. حنت رأسها ونظرت إلى يديها المتشابكتين امامها، وخاتم زواجهما الذهبي يلمع في بنصر يدها، وقالت: «هل أنت نادم على زواجك مني؟»

«لا أريد منك أن تضحي بأي شيء، يا سوزي.»

فتنهدت وارادت ان تخبره انها لا تقوم بأي تضحية وانها بحاجة لأن تتكلم معه، ولكن من النظر إلى وجهه، كان يساورها القلق اكثر واكثر.

أغمض عينيه وقال بصوت اجش: «أنت لست على استعداد للقيام بذلك بعد. لقد كانت جنازة والدك الأسبوع الماضي. فلا تجبري نفسك على شيء وانت لست مستعدة له.»

الفصل الرابع

كانت اللوحات التي تنوي سوزي تسليمها لروني في المعرض يوم السبت لا تزال موجودة في احدى خزانات منزلها حتى يوم الاثنين. وهي تعلم ان روني سيكون غاضب جداً لأنه لم يعد هناك نسخ من لوحتي (الفتاة القطة) و(قيلولة ايفيردا) معروضة في المعرض. وبما انها تعلم انه ليس امامها اي خيار آخر، فقد حاولت أن تتجاهل خوفها من لقاء غاري للمرة الثانية، واخذت تنقل اللوحات من الخزانة إلى شاحنتها الصغيرة.

سألتها ليز: «اتريدينني أن أرافقك؟» كانت جسيكا قد ذهبت إلى منزل الجيران كي تلعب مع ابنتهم، وكانت ليز تقف عند باب منزلها الأبيض، امرأة صهباء جميلة، وفي اوائل الثلاثينات من عمرها، وفي ذروة حيويتها وتألقها. لقد امضت يوم الأحد بأكمله مع سوزي، تتفيآن بظل مظلة كبيرة قرب الشاطىء، وتراقبان الأمواج التي كان تلاطم الشاطىء برفق، وتراقبان كذلك جسيكا وهي تلعب مع رفاقها والكلب سوتي قرب الماء. نزلت سوزي إلى الماء عدة مرات خلال النهار، وكان سوتي يتحرك بينها وبين جسيكا بمرح كبير.

غير أن السباحة لم تبعد سوزي عن الحقيقة، وكيف يمكن لذلك ان يحدث وهي في كل مرة تنظر فيها إلى جسيكا،

كانت ترى عيني غاري، وعندما كانت تعرف ان غاري بانتظارها قرب الحدود ولن يذهب قبل ان يحصل على ما يريد؟

ما الذي كان يريده بالضبط؟ تفسيراً لما جرى على حد قوله، وطلب الطلاق.

أطلقت سوزي ضحكة خفيفة عندما عرضت عليها ليز المساعدة، وردت عليها قائلة: «سيعلم انني خائفة اذا ما كان أحداً برفقتي.»

هزت ليز رأسها إيجاباً، مما يعني أن تصرف سوزي كان يؤكد لها أهمية غاري بالنسبة إليها كما كانت ليز تعتقد. ذلك ان خوفها منه كان من الحماقة، فسوزي الآن في السابعة والعشرين من عمرها، مما يعني انها ناضجة بما فيه الكفاية كي لا تخاف من رجل كانت تحبه عندما كانت طفلة، رجل له من قوة الشخصية ما يمكنه من التعامل مع رؤساء وارهابيين على حد سواء.

قالت ليز: «لا بد ان يكون قد عاد إلى المكان الذي يعيش فيه.»

أين يعيش غاري؟ لفترة زمنية معينة، كان يعيش في باريس، لكنها لم تذهب معه إلى ذلك البلد، اذ ان باريس كانت مجرد كلمة، حلم ظنت سوزي انه قد يتحقق، غير أن هذا الحلم مات باكراً.

وضعت اللوحات في الشاحنة، وفي اللحظة الأخيرة أدخلت سوتي إليها. لقد اسمته سوتي عندما رأته هي وجسيكا للمرة الأولى قرب محل بقالة في ايفيردا يبحث عن الطعام بين القمامة. ولما علمت انه ليس له صاحب يعتني

به او مكان يبيت فيه، اصطحبته هي وجسيكا إلى المنزل، وقدمتا له الطعام وجهزتا له مكاناً ينام فيه. كان سوتي مخلصاً جداً لها ولجسيكا، وربما يقدم لها نوعاً ما من الحماية اذا ما احتاجت لذلك في مثل هذا اليوم.

وكان بامكانها ان تصطحب سوتي معها إلى جزيرة سويتي ليلة السبت كي ينبح على غاري ليلتزم حدوده.

لدى وصولها إلى الحدود الأميركية، توقفت سوزي عند التفتيش الخطأ. واذا بشاب بلباس عسكري يسألها بفظاظة: «ما هي جنسيتك؟»

«كندية.» ثم ناولته جواز سفرها.

«وماذا عن الكلب؟»

واستغرقت تلك الاجراءات الرسمية الروتينية نصف ساعة من الزمن، دقق خلالها ذلك العسكري باوراق سيارتها الصادرة في المكسيك، واوراق سوتي من الطبيب البيطري المكسيكي، وايصال صاحب المطبعة حيث نسخت تلك اللوحات، يثبت أن ذلك قد تم في الولايات المتحدة الأميركية.

ولم يكن تجولها وتلك اللوحات في شاحنتها ذهاباً واياباً عبر الحدود امراً صائباً. فلطالما عانت سوزي من مشاكل خلال نقلها للوحات الأصلية من بيتها إلى المطبعة. وهي كانت تحمل هذه النسخ إلى المكسيك لأنها كانت تهرب من غاري بأسلوب اهوج. ذلك لأن لا أحد يعلم ما كان غاري يفكر به. وقد كانت تتجنب الرد على اسئلته وكأنه يهددها بقوته الجسدية، غير ان غاري لم يكن احمق، اذ لا بد له وأن يكون قد شعر باخفاء سوزي امراً ما عنه.

www.liilas.com

ولو علم غاري بأمر جسيكا...

تابعت سوزي بعد ذلك رحلتها، وعقلها بعيداً عنها مسافة خمسة عشر ميلاً لجهة الشمال، في جزيرة توبس. حيث احتفلا بزواجهما هناك، وصارحته حينها بمدى حبها له، وكيف احمر وجهها حين ابتعد عنها. وكيف شعرت بالفرق الشاسع بين احلامها والواقع.

كانت تتأمل شكلها وهي تنظر إلى المرآة الموجودة في غرفتها، حيث ترى صورتها الشاحبة. وبواسطة الضوء الوحيد المضاء في الغرفة والموضوع على المنضدة بجانب السرير، كانت سوزي تعتقد ان غاري يراها جميلة.

أرادت أن تهرب، أن تغمض عينيها كي لا ترى نظرات الامتعاض في عينيه. فقد كان كل شيء هادئاً باستثناء غاري، فهو لم يكن يرغب بالزواج الآن، ولم يكن يرغب بها، فقد كان ينظر إليها وكأنه لم يرها من قبل.

كانت تعتقد بأن غاري سيراها جميلة وسيبوح أخيراً بحبه لها، وكم كان يتمنى لو اقترن بها قبل حادثة والدها. ولكن... التمني شيء والواقع شيء آخر.

«أنا احبك، يا غاري.» كان عليها ان تهمس له بتلك الكلمات. فهو لو لم يكن يحبها... لو لم يجب على سؤالها... لما كان من الممكن ان يعقد قرانه عليها الا اذا كان يحبها. فنظرت اليه، أخذت نفساً عميقاً وقالت: «لطالما احببتك.» وكأنها بكلماتها هي تتوسله كي يحبها.

أجاب على كلماتها بصمت طويل. كان في عينيه شفقة، وليس حباً. اغمضت عينيها، لأنها لا تحتمل ان ترى الحقيقة في عينيه. كان عليها ان تتوجه إلى غرفة

طفولتها، وأن تخبره انها ارتكبت غلطة، وانه عليهما فسخ الارتباط الذي عقداه.

وطوال الشهور والسنين التالية، حاولت أن تتذكر تفاصيل تلك الليلة، مدركة ان قيامها بذلك كان غلطة كبيرة، لكنه كان امراً لم تستطع السيطرة عليه ابداً. حتى انها كانت احياناً تستيقظ في الليل وهي تهمس اسمه، وتتوق لرؤياه. فقد كان غاري حبيبها الأول والأخير.

وقد يكون هذا هو السبب الذي جعلها لا تتزوج أي شخص آخر سوى غاري ويليامز. وهذا بالنسبة اليها افضل اذا كان غاري يلهو ولا يعيش على ذكراها كما تفعل هي، وهي تعيش مع ذكرى تملؤها بالخوف والألم. لكنها عوضاً عن ذلك لديها الأحلام، التوق والحاجة اللامتناهية اليه.

مرت سنوات على قولها لنفسها ان ذلك هراء! وقد ادركت الآن انه كان عليها ان تقوم بأكثر من التحدث إلى نفسها عنه، فقد رأت صورته عبر شاشة التلفزة وحلمت باللحظة التي يلتقيان فيها.

لكنها تكذب، لأنها كانت تشاهد الأخبار وتبحث عنه بين الجموع. كانت تتذكر الأحاسيس التي احاطها بها، وتتوق إلى رؤيته.

قالت لها ليز: «أنت مازلت تحبينه.»

«لا.» فهي لم تحب غاري، لكنها لا تستطيع ان تنساه كذلك، ذلك لأن احساسها لم يكن حباً حقيقياً ابداً. بل كان مجرد احلام طفولية خانتها. ولا بد أن تكون قد تحولت الآن إلى هوس، لأنها لم تستطع ان تخرجه من عقلها او حياتها. فهي لم تكن حرة ولم تكن متزوجة ايضاً. فهي لم تعد

www.liilas.com

اكيدة من حقيقة معنى القسم بالحب والوفاء الذي تبادلته هي وغاري اثناء عقد القران. ومما هو مؤكد ان غاري كان يردد كلمات فقط، وسطور وربما لم تكن هي كذلك تعني ما تقول، رغم انها عندما...

ومن حسن حظها انها لم تفقد فنها، وكرست وقتها ونفسها له، لتعمل بجد اكبر كلما ازداد نجاحها، لدرجة انها لم تعد تملك الوقت لوجود أي رجل في حياتها، وما لا تسمح به هو ان يتجاوز اي رجل الحاجز الذي احاطت به نفسها، ولا حتى غاري.

راحت تبحث عن غاري بين الناس الموجودين في المركز التجاري، غير انه لم يكن هناك سوى متسوقي يوم الاثنين، ومعظمهم من النساء، وواحد من حراس الأمن يتحدث إلى روني.

وصلت سوزي، لاهثة وهي تحمل مجموعة اللوحات بين ذراعيها. مدّ روني ورجل الأمن يديهما لمساعدتها، الا انها تجاهلت يديهما الممتدة، ووضعت اللوحات على طاولة العرض.

«وصلت في الوقت المناسب. اذ ان هناك ثغرات عديدة في معرضنا لدرجة انه يبدو سخيفاً.» ثم أخذ يرتب اللوحات.

«من الأفضل ان استأنف عملي. اتصدق ان احدهم قد اقفل كل اقفال ابواب حجرات المراحيض الخاصة بالرجال؟ مما اضطرهم للخروج من تحت الأبواب وتركهم مقفلين! أنا في صدد البحث عن قافل الأبواب المجنون!»

لم تتجرأ سوزي على ان تسأل روني إن كان غاري قد عاد أم لا. وأخذت تساعده في ترتيب اللوحات، ثم ذهبت لاتمام مهمتها الثانية.

كان عليها ان تتوجه إلى نهاية المركز، حيث اوقفت شاحنتها تحت ظل الأشجار لتؤمن الفيء لسوتي. حنت رأسها ومشت بسرعة، محاولة الا تفقد الماء من الوعاء الذي كانت تحمله من اجل سوتي.

وقالت لسوتي الذي رأته يطل رأسه من نافذة الشاحنة، ويلهث متدلي اللسان: «أنا آسفة للتأخير.» ثم فتحت له الباب كي ينزل من الشاحنة، ووضعت له وعاء الماء على الأرض، فاذا به يبدأ بلعق الماء بنهم شديد.

قالت بنبرة واعدة: «دقائق قليلة بعد ونذهب إلى جزيرة سويتي حيث يمكنك ان تعبث بالماء.»

جزيرة سويتي؟ لا، عليها ان تجد مكاناً آخر حيث يمكن لسوتي ان يعبث في الماء، لأن غاري استطاع في هذا المكان ان يكتشف حقيقة ما بداخلها، أو ربما هي ومن خلال تصرفها كشفت هذه الحقيقة، فقد كانت تقف على صخرة وتحدق به حين ادركت انها حتى بعد سبع سنوات من الفراق، لا زالت لا تستطيع مقاومته.

«عد إلى الشاحنة.» فرفع سوتي رأسه ونظر اليها وكأنه يريد أن يقول لها انه يعلم استحالة حصوله على قدر من الحرية في صخب المدينة. ثم حملت ما تبقى من اللوحات، تاركة سوتي يطل رأسه من النافذة وينظر اليها، وتوجهت ثانية إلى المركز التجاري.

وما أن خطت داخل المركز خطوتين، حتى رأت غاري.

www.liilas.com

وقد بدا ذلك بالنسبة لها كتكرار، لما جرى يوم السبت، لكنها هذه المرة تابعت سيرها لأنه رآها، ولأنها بدأت تشعر بالغضب.

لم يكن غاري ويليامز ليسيطر على حياتها ثانية! ومشت ثلاث خطوات قبل أن يقف غاري في طريقها. كان عليها ان تقف، لكنها كانت تنوي الا تجعله ينتصر عليها حتى في اصغر المواقف.

«ماذا تفعل هنا؟»

اقترب منها كي يحمل اللوحات عنها، ولكنها هزت رأسها وتراجعت إلى الوراء.

صرخ بها قائلاً: «انتبهي!»

سمعت صرخة طفل خلفها، إذ انه كان يدبدب خلف قدميها مباشرة.

قالت والدة الطفل متأسفة: «انها غلطتي، أنا آسفة.»

قالت سوزي له: «دعني وشأني.»

«أعطني اللوحات.»

«انها ليست لوحات، بل نسخ عنها.» وشعرت انها فتاة صغيرة حمقاء، تقف امامه وهي ترتدي بنطالاً وبلوزة فضفاضة وتنتعل صندلاً، وتحمل مجموعة من اللوحات وتتجادل مع احدهم.

أخذ اللوحات منها، فوقفت في مكانها ورفضت الحراك حين بدأ هو بالتوجه إلى صالة العرض وقال: «هيا، تحركي.»

فقالت بنبرة حادة: «لا.»

توقفت امرأة مسنة واخذت تستمع اليهما وهي تنظر إلى غاري ثم إلى سوزي.

«إذا كنت ستسلم اللوحات لروني بدلاً مني، فأنا سأذهب.»

فقال بنبرة صوت جعلتها ترتجف: «حاولي ذلك، وسأرمي بهذه اللوحات في سلة المهملات الموجودة في الخارج.»

«لا. لن تفعل!» ثم وضعت يديها في جيبي بنطالها واضافت: «ماذا تريد مني؟»

«محادثة منطقية. مكاناً مناسباً نجلس فيه ونتحدث.» وأدركت سوزي انه لن يتمكن من فعل اي شيء لها، لأن اللوحات كانت بين يديه، وتابع كلامه: «أنت مدينة لي على الأقل بتفسير بعض الأمور بينما نتناول طعامنا. فرغم كل شيء، انت زوجتي.»

لم يكن هذا صحيحاً ولا في أية حال من الأحوال. حولت نظرها عنه لتجد نفسها تنظر إلى تلك المرأة الفضولية التي كانت تنصت اليهما.

«هذا حديث خاص.»

فسمعت الضحكة التي اطلقها غاري ورائها وقال: «ابقي هنا.» ثم توجه نحو صالة العرض.

فقالت المرأة بصوت منخفض: «أنت مجنونة، الحقي به! ألا ترين انه رجل رائع؟»

هزت سوزي رأسها وتبعته بهدوء، ويديها لا تزالان في جيبي بنطالها، وقررت ان تتحدث اليه، فهي ستتناول الغداء معه وتتكلم، لكنها لن تجعله ولا لأي سبب يدفع عنها فاتورة طعامها! ربما هي مدينة له ببعض التفسير، وقد تخبره عن السبب الحقيقي لرحيلها. إذ ان ذلك قد يكون الدواء لما

www.hilas.com

عانى منه الاثنان. فك ارتباط، نهاية لأحلام وكوابيس، لكنها لن تخبره عن جسيكا، ليس وهما لا يزالان مرتبطين قانونياً.

ستتحدث اليه، وبعد ذلك ستذهب إلى منزلها، وتحمل جهاز التلفزة خاصتها هدية لليز التي كانت تريد شراء جهاز تلفزة لغرفة نومها، ذلك الجهاز الذي كانت تشاهد عبر شاشته مغامرات غاري ورحلاته الخطرة إلى أماكن عديدة.

ارتفع حاجبا روني لدى رؤيته غاري واللوحات بين يديه. وقال: «أعتقد انكما التقيتما أخيراً.» وقد بدا وكأنه يشك بدوافع غاري.

أخرجت سوزي يديها من جيبيها ودخلت إلى صالة عرض لوحاتها وقالت: «أنا سأقوم بذلك.» وأخذت اللوحة التي كان يحملها روني.

«لقد اشترى لوحة (الفتاة القطة) الأصلية.»

فنظرت في عيني غاري وقالت: «انه ثمن باهظ من أجل حديث لمدة ساعة.» وراح قلبها ينبض بقوة.

«هل أنت مستعدة؟»

لن تكون سوزي أبداً مستعدة لذلك. أن تقف وجها لوجه مع غاري، وهو يحاول بعيني الصحفي ان ينبش الأسرار التي تخفيها. لماذا عساه يكون قد اشترى تلك اللوحة بالذات؟ هل يمكن ان يكون قد عرف ما تخفيه؟ ام انه يشك في الموضوع؟

«إن سوتي معي في الشاحنة.»

«من هو سوتي؟»

«إنه كلبي. نحن... أنا اسميته سوتي. ان الطقس حار جداً كي اتركه في الشاحنة، لذلك أنا...»

سألها روني: «هل سأراك لاحقاً؟»

أجاب غاري: «لا.»

ردت سوزي: «أجل، يا روني؟»

فقال روني: «حسناً.»

راحت تمشي بسرعة، وكأنها تريد ان تسبق غاري بخطواته الواسعة. وفتحت الأبواب الكهربائية المؤدية إلى خارج المركز لدى اقترابهما منها، فوقفت سوزي فجأة، اذ كانت تتساءل في نفسها قائلة ماذا اذا وجد في شاحنتها ما له علاقة بجسيكا؟ لعبة او...

قال: «هل تظنين أنني سأهجم عليك؟»

احمر وجهها، وردت: «اتوقع انك ستحاول الحصول على كل ما تريده.»

«ربما اريد استعادة زوجتي.» لكنها كانت تدرك انه لم يقصد ما قاله، لأن نبرة صوته كانت جافة.

«انني أعيش نمط الحياة التي اريدها، وهي لا تحتمل وجود زوج.»

«ماذا عن الطلاق؟»

هزت كتفيها وقالت: «هيا، افعل ذلك.»

وضع احدى يديه في جيبي بنطاله وسألها: «هل يتضايق اصدقاؤك من كونك متزوجة؟ او انك لم تخبريهم؟» كان يتكلم بنبرة الصوت ذاتها التي كان يستخدمها حين كان يقوم باذاعة تقاريره عبر شاشة التلفزة، تلك النبرة التي تؤدي بسامعها إلى زلات لسان تفشي اسراره.

www.liilas.com

وراحت تنظر إلى حيث كان ينظر، فاذا بها ترى يديها ترتعشان وقالت: «تبدو متأكداً جداً من ان لدي اصدقاء لي يا غاري.»

«ذلك لأنني لا أرى خاتم زواجنا في اصبعك.»

«لقد نزعته لأنني لا اريد أن أكون متزوجة منك.»

«ماذا فعلت به؟»

لن تقول له الحقيقة ابداً، انها تحتفظ بالخاتم في علبة مجوهراتها، وأنها حاولت ان تتخلص منه لكنها لم تستطع.

«لقد رميته.»

ظهر على وجه غاري فجأة غضب شديد. فأخذت تتراجع بعيداً عنه، ولحظة بدت حركتها هذه، اختفت كل معالم الغضب عن وجهه.

«هذا ليس المكان المناسب لنتحدث.» لا بد وأن تكون مخطئة بشأن غضبه، لأن صوته الآن بدا لها هادئاً. فخرجت مسرعة إلى خارج المركز بينما بدأت الأبواب الكهربائية بالاقفال ثانية. وبعد أن أصبحا على الرصيف، سألها: «مما أنت خائفة، يا سوزي؟»

فتوقفت عن السير، واستدارت لتصبح مواجهة له فتحدق به. انه رجل وسيم، تبدو على وجهه ملامح الضحك والعبوس في آن معاً، رجل يعرف ماذا يريد من الحياة، حتى انه كان كذلك حين كان فتياً.

«انني خائفة منك.»

«لا يبدو لي ذلك منطقياً.»

«بل هو كذلك. لطالما تحكمت بي، ولطالما كانت لك اساليبك الخاصة التي تستخدمها لتجعلني أبدّل في تصرف

ما لم يعجبك، او لتدفعني للقيام بأمر انت تريدني أن اقوم به.»

«تجعلينني أبدو وكأنني طاغية.»

«بل بالأحرى متسلط. فانت تعرف كيف تفرض رغبتك للحصول على ما تريد، ولطالما كانت هذه هي سياستك. لذلك، فإنني أشعر بالخوف لأنني اخشى ان تجعلني اقوم بأعمال لا اريد القيام بها، كما فعلت حين كنت طفلة، الاسلوب الضاغط الذي حتى جعلتني اتزوج منك. الأسلوب...»

«أنت لم تكوني طفلة حين تزوجت منك.» وللمرة الثانية استطاعت ان ترى الغضب باد على وجهه.

كانت متأكدة انه لاحظ تورد خديها وقالت: «أنت تسخر مني؟ هل هذا كل ما في الأمر؟ ان تنتهز الفرصة كي تحرجني؟»

قال: «كم استغرقك من الوقت كي تخالفي القسم الذي تفوهت به يوم عقد القران يا سوزي؟ ولماذا، إذن، تزوجت مني؟»

«كم من الوقت حافظت انت على ذلك القسم؟ او انك بدأت بمخالفته في اللحظة التي بدأت فيها باعلانه؟» فتحت باب الشاحنة، وإذا بسوتي يقفز خارجاً منها، وينبح بقوة أمام غاري.

«ابعدي كلبك من هنا.»

ومما هو جلي أن غاري يملك القوة والخبرة الأكبر على مواجهة تحديات من هذا النوع أكثر من سوزي، لكن نباح سوتي كان صادقاً في تهديده، وهي لم تكن تنوي ان تهدىء

www.liilas.com

كلبها بأي كلمة قبل ان يبتعد غاري عنها، كذلك لم تكن تسمح لنفسها ان تتذكر تأثير غاري عليها حتى لا يتحول غضبها إلى هدوء!

وآخر ما كانت تتوقعه هو سماع ضحكة يطلقها غاري، لكنه فعل ذلك وقال: «ردة فعل مكسيكية. سأمنحك نقطة لصالحك في هذه الجولة.»

وتركها ذاهباً برفق، لكنه قبل ان يبتعد عنها، قالت له مداعبة: «إن هذا الكلب مكسيكي.»

ربتت بيدها على رأس سوتي، الذي قفز بين ذراعيها فشعرت بالتعب، وكأن وزنه يثقل كاهلها. غير أن غاري الذي كان يراقبها، كان يعرف ان ما تشعر به ليس بسبب الكلب على الاطلاق، بل بسبب عينيه اللتين كانتا تحدقان بها.

لقد كانت الذكريات حقيقية جداً. فقد ذكر ليلة زفافهما، وعلق ثانية على انها لم تكن طفلة عندما اقترنت به، وشعرت بالحقيقة تبتعد عنها. فقدت نفسها وسط واحدة من تلك الأحلام التي كانت تشعر فيها برغبة يائسة. وتراجع غاري تاركاً اياها وحدها في ذلك الحلم الذي تحول إلى كابوس.

«المكسيك؟ أنت تعيشين هناك، اليس كذلك؟ هل ذهبت إلى هناك حين رحلتِ عني؟»

«أجل. اعتقدت انك لن تجدني هناك.»

الفصل الخامس

مر سوتي من أمام غاري ودخل إلى الشاحنة، حيث وقف ينظر إلى سوزي وهو يهز ذيله الأسود. وتوجه غاري نحو مقعد السائق.

قالت له بحدة: «لن تقود شاحنتي!»

«إذن أرجو أن تكوني قد تمرنت قليلاً بعد نجاحك في امتحان القيادة.»

ودّت لو أنها تستطيع أن تصرخ في وجهه، لكن ما منعها هو أن ذلك التصرف طفولي وأحمق. قالت: «اعتقد أن المطعم الذي سنذهب إليه لا يناسبك.»

«أين؟» وعرفت أنه كان يضحك عليها فجلست في مقعد السائق وإنحنت إلى الأمام حتى يمر غاري ويجلس على المقعد المحاذي لها. وأخذ يتأمل داخل الشاحنة وكأنه كان يتوقع أن يرى غباراً وبعض القمامة. عبست وأدارت المحرك قائلة: «إنه مطعم متخصص بتقديم الهامبرغر.»

«لقد أكلت في أماكن تجعل من هذا المطعم من أرقى المطاعم.»

«اتقصد حين كان الارهابيون...» نظرت إليه، وأدركت أنه لن يتكلم عن هذا الموضوع. أمسكت المقود وقالت: «لقد كنت قلقة. في كل مرة كنت تختفي، كنت أشعر بالخوف الشديد.» كان سوتي يقف خلف غاري وهو لا يزال يهز ذيله، وينتظر أن تتحرك الشاحنة حتى ينعشه تيار الهواء. قالت

www.liilas.com

سوزي بحزن: «كنت دائماً تظهر في النهاية وتسخر من الموت، وكأنك تعتقد أنك لن تموت.»

«لو كنت قلقة، لماذا لم تتصلي بي؟» لم تسمح لنفسها بالنظر إلى وجهه، لكنها كانت تعرف ما يبدو عليه من حذق وترقب. وتابع: «أنت لم تراسليني أو تتصلي بي هاتفياً.»

«لا.»

«ألم تعتقدي أنك مدينة لي على الأقل بتأكيد أنك لا تزالين على قيد الحياة؟»

بلى، بالطبع كانت مدينة له بذلك، لكنها... أجابت: «ماذا كان عساي أن أفعل؟ أن اتصل وأقول: كل شيء على ما يرام، ولا أريد أن أراك؟ لقد وعدت والدي بالإعتناء بي.» ثم أغمضت عينيها وهمست: «لقد رأيتك تتوجه نحوه... لقد كنت إلى جانبه على الرصيف. وإذا كان قد طلب منك أن تعده بشيء، فقد كان ذلك في حينها. عندما كان يحتضر... هل ستحاصرني طيلة حياتي بسبب ضمير والدي الذي كان يؤنبه لحظة إحتضاره؟»

قال: «لقد قطع ذلك المشهد من نشرة الأخبار في أميركا الشمالية. كيف رأيته؟»

«عبر الأقمار الصناعية. لقد رأيت... أنا...» غصت ولم تستطع المتابعة. وضعت يدها على مبدل السرعة وقالت: «لا أريد أن أتحدث في هذا الموضوع! هناك حديقة في المطعم. يمكننا أن نتناول طعامنا فيها كي يتسنى لسوتي الجري. وأنا...»

«أنا آسف. لقد طلبت من جورج ويلسون أن يقطع ذلك المشهد، وقد وافق على ذلك. فأنا لم أكن أريدك أن تريه.»

لم تنظر سوزي إلى وجهه، لأنها لم ترغب في أن ترى الملامح التي تبدو عليه. ذلك لأن من ستراه الآن هو غاري الذي لا تستطيع مقاومته، الرجل الذي يعرف ما يدور في رأسها حتى دون أن تقوله. الرجل الذي أحبته أكثر من كل شيء. وإنطلقت في طريقها مسرعة. وعندما وصلا إلى موقف السيارات الواقع بين المطعم والحديقة، أوقفت السيارة.

«سوزي...»

أبعدت يديها عن المقود وقالت: «ماذا تريد؟»

«أنا آسف لأنني سخرت من طريقة قيادتك. لطالما كنت سائقة جيدة. كان علي أن أعلم... لقد علمتك.»

فقالت مذكرة إياه: «لقد صرخت في وجهي بعد أن حصلت على رخصة القيادة خاصتي، عندما كنا في الطريق المجاور لمرسى السفن، وقلت لي انني حمقاء.» لقد كان ذلك في مرة من المرات القليلة التي كان يرتفع فيها صوت غاري بسبب غضبه.

«لقد كنت على وشك أن تقتليني كي تنقذي تلك الغزالة.» تذكرت سوزي كم كان غاضباً لأنها لم تنتبه.

فقد ظهرت الغزالة من بين الأشجار ومرت من أمام السيارة فجأة، فإنحرفت سوزي بالسيارة كي تتحاشى دهس الغزالة الجميلة، وعندما سمعت صوت مكابح السيارة لدى توقفها عند حافة الطريق، أدركت في لحظة مخيفة أنهما كانا على وشك أن يموتا، وأنها كانت تقود بسرعة كبيرة. فقد توقفت السيارة على بعد إنشات قليلة قبل الحاجز الذي يفصل بين الطريق والمحيط، وفي الصمت الذي خيم عليهما بعد ما

www.liilas.com

حدث، صرخ غاري غاضباً: «أيتها الحمقاء! فكري أولاً وإلا ستقتلي نفسك كي تنقذي الغزالة التالية!»

فسألته بنبرة مرتجفة: «هل أنت تفكر أولاً دائماً؟»

«هذا بالضبط ما أفعله.»

قالت بهدوء: «لم يكن لديك الحق لتوبخني بسبب ذلك.» ثم رفعت شعرها القصير بيدها وقالت: «في المرة الأخيرة التي اختفيت فيها في أميركا الوسطى، قالوا ان ذلك حصل لأنك توقفت لتتأكد من إجراء الاسعافات الأولية اللازمة لطفل جريح. هذا يعني أنك لم تفكر أولاً، أليس كذلك؟»

أومأ إليها بحركة أخبرتها أنه لا يريد التحدث في ذلك الموضوع. إذ أنه مهما كان ينوي أن يقول، فقد قيل فعلاً وأذيع إلى العالم كافة.

فتح غاري باب الشاحنة وقال: «سأحضر أنا الطعام، أما أنت فإختاري لنا طاولة مناسبة، وأنزلي سوتي.»

اختارت سوزي إحدى الطاولات القريبة من الماء. كان هذا المطعم يقع في منطقة هادئة من المدينة. وراحت تراقب غاري وهو يدفع ثمن الطعام وأدركت أنها في خطر، لأنها كانت تتوق لرؤيته. والأمر الآن يختلف عن رؤيتها له عبر شاشة التلفزة، فهي تعرف أنه هنا قد يلتفت إليها في أي لحظة ويقيدها بنظراته المميزة.

ها هو الآن يتوجه نحوها وفي يده كيس كبير مليء بالطعام. ليفرغ ذلك الكيس على الطاولة بعد وصوله، ويرمي قطعة من الهامبرغر لسوتي.

«لا تفعل ذلك، يا غاري! أنا لا أطعمه هذا النوع من الطعام.»

لكنها قالت ذلك متأخرة، فقد كان سوتي قد بدأ بتمزيق قطعة اللحمة تلك إلى قطع صغيرة بأسنانه. نظر غاري إلى سوتي وقال: «يبدو لي أنه لا يمانع بأكله.»

«أعلم ذلك. هل أخبرتك أننا وجدناه قرب محل بقالة في ايفيردا يأكل القمامة ويملأ جسمه البعوض.» ثم لفت ذراعيها حول جسدها وكأن الشمس لم تعد تمنحها الدفء. «وجدتموه؟ أنت ومن أيضاً؟»

شعرت سوزي بقلبها ينبض بقوة حين كان ينظر إليها. توقف سوتي عن إلتهام قطع اللحم الصغيرة وأخذ ينبح.

«حبيبك، هاه؟»

«مصرّ على أن لدي حبيب؟» وإرتجفت لأنه يظن بها ذلك. وقد يكون خلف هدوء اعصابه هذا، غضب شديد، حتى أنه قد يكون يكرهها.

فقال مذكراً إياها: «أنت لن تنكري ذلك.»

إذا كانت سوزي ذكية، فإنه لا يجب عليها أن تنكر أن لديها حبيب. لأنه إذا علم غاري أنها كانت مخلصة له طيلة كل تلك السنوات، فإن ذلك لن يستغرقه وقتاً طويلاً حتى يستنتج أنها لاتزال تحبه. وهي لا تحبه، قد تكون منجذبة إليه، لكن احساسها ذلك لم يكن ولا بأي شكل حب.

«لقد كنت مع ليز. إنها جارتي. في الواقع صاحبة البيت الذي أسكن فيه.» تحاشت النظر إلى عينيه حتى لا يرى أنها تكذب. وتابعت: «نحن... ليز وأنا... كنا في السوق، و... لم نجد له صاحباً وكان يأكل من القمامة. أخذته إلى بيتي ووعدته انه لن يأكل من القمامة ثانية، وأنني سأخصصه بنوع أكل صحي.» استدارت وأحست بتورد خديها، لأن

غاري كان ينظر إليها بإهتمام كبير. وأضافت: «الوعود مهمة جداً بالنسبة إليّ.»

«لطالما كان لك رأياً فلسفياً فيما يخص هذا الموضوع.»

فشدت ذراعيها حول جسمها أكثر وقالت: «لا يجب أن تخلف وعدك مع الأطفال أو الحيوانات.»

جلس مواجهاً لها وقال: «أليست الوعود مهمة بالنسبة للكبار أيضاً؟»

شعرت سوزي باحمرار وجهها الشديد، ولم تستطع النظر إلى أي مكان سوى إلى غاري. بدت الأشجار من ورائه غير واضحة لها. وسمعت صوت سوتي وهو يلتهم الطعام. أرادت أن تنظر إليه، لكنها لم تستطع أن تنظر إلى أي مكان بل فقط إلى غاري، الذي كان يرمقها بنظرات تحد وتساؤل.

«بلى، إنها مهمة.»

أمسك بإحدى السندويتشات، وأخذ يقلبه في يده وسألها: «لماذا رحلت عني؟ أريد أن أسمع منك السبب الحقيقي هذه المرة يا سوزي.»

لقد كان من الإستحالة أن تخبره إلى أي حد كانت تحبه حين كان ينظر إليها بغضب ويأس معاً.

قال مذكراً إياها: «لقد تزوجت مني. لقد تبادلنا القسم على الحب والوفاء، وأنت حافظت على زواجنا هذا لمدة أربع وعشرين ساعة.» ثم وضع إحدى يديه على الطاولة وتابع حديثه: «ألم يكن بإمكانك أن تمنحي زواجنا فرصة أطول من تلك.»

هزت رأسها بصمت.

«عندما تزوجنا... هل كان بيتر هو السبب؟ اعتقدت أنك أنت وبيتر...» فنظرت في عينيه، فإذا بها ترى فيهما غموضاً غريباً: «هل كان هو السبب، يا سوزي؟»

حاولت أن تحول نظرها عنه، لكنها لم تستطع، فقد كانت عيناه تأسر عينيها. واتسعت عيناه حين إشتد تورد خديها، وكونها لاتزال غير قادرة على تحويل نظرها عنه.

فإذا بالبرودة تسري في أعماقها، فتصرخ: «كفى. كفى غاري!»

نظر إليها متأملاً وقال: «إذاً ألم يكن عليك أن تمنحي زواجنا وقتاً أطول من ذلك؟»

«توقف عن التظاهر بأنك منطقي جداً!» وأخذت نفساً عميقاً بصعوبة وتابعت: «لقد كنت ستتركني على أي حال.»

أسند ظهره إلى الكرسي، وتذكرت صباح ذلك اليوم الذي لن تنساه أبداً. لقد استيقظت لتجد نفسها وحيدة في الغرفة، لقد استفاقت من النوم، لكنها لم تستفق بعد من تأثير غاري عليها. وبينما هي لاتزال مستلقية على السرير تكشفت لها حقيقة واحدة باردة، وهي ان غاري لم يكن يحبها.

سوزي ووكر الآن تخص غاري ويليامز إلى الأبد، حتى أنها أخبرته بذلك، قالت له تلك الكلمات: «أنا أحبك.» وتوسلته كي يحبها. ومع شروق الشمس، بدت هذه الذكرى مخيفة بالنسبة إليها، لأنها أدركت أنه مهما كان شعوره نحوها، فإنه ليس حباً. وقد أخبرها أنه يحب جمالها... عاطفتها... بشرتها البيضاء الناعمة. لكنه لم يقل أبداً انه مغرم بها، ولو شاء ان يفعل ذلك، لكان يجب أن يكون ذلك ليلة أمس.

www.liilas.com

عندما سمعت جرس الهاتف يرن، جفلت للحظات. لقد وصلها ذلك الصوت من الطابق السفلي، وما أن سمعته حتى أدركت أن ما سيحدث أمر لا ترغب به. فقامت من سريرها بسرعة ووقفت في منتصف الغرفة، ثم هرعت مسرعة إلى الطابق السفلي.

وبينما هي تنزل إلى الطابق السفلي، اعتراها شعور غريب وكأنها في كابوس، وخالجتها رغبة في محاربة هذا الشعور، ويقين أنها خاسرة. الهاتف... طوال حياتها كان الهاتف ينقل إليها أخباراً سيئة ويبث فيها خيبة الأمل.

توقف رنين جرس الهاتف، ذلك لأن غاري أجاب، وأي كان المتكلم، فقد كان غاري سيأخذ الهاتف منها. وبعد نزولها نصف الدرج المؤدي إلى الطابق السفلي، استطاعت أن تسمع ما يقوله غاري.

«اتصل بي حين تحجز لي تذكرة الطائرة. كل ما أحتاجه هنا هو ساعة من الزمن وأكون جاهزاً.»

كان غاري يضع السماعة عندما وصلت إلى الدرجة الأخيرة فوقفت ووضعت يدها على الدرابزين، واستطاعت ان ترى قدرها مرسوماً على وجهه.

«يحجز لك تذكرة طائرة؟ إلى أين؟»

سمعت صوت خوار البقرة من الحظيرة المجاورة... وشمت رائحة القهوة الذي لا بد وأن يكون غاري قد حضرها قبل دقائق قليلة... ورأت يده ترفع شعره عن جبهته. لقد مضى على استيقاظه بعض الوقت، فقد استحم ولبس بنطالاً من الجينز وكنزة فضفاضة، لا بد وأنه كان خارج المنزل يتمشى. ربما.

بدا وكأنه قد عاش عمراً كاملاً في الوقت الذي كانت فيه سوزي نائمة.

«إلى افريقيا. هناك عملية اغتيال حصلت.»

غصت سوزي لسماعها ذلك وقالت بأسى: «ماذا عن سفرنا إلى باريس؟» لكنها كانت تعرف مسبقاً أنه سيتركها، فقد حان وقت العمل، وهي تعلم أن حياتها كلها لا تساوي شيئاً أمام عمله ذلك لأن حياتها مع غاري كان أمراً من نسج مخيلتها. وشعرت بهذا الحلم ينهار من حولها.

«عليّ أن أوضب ثيابي.»

«ثيابك أنت فقط؟» كانت تدرك أنه لا يجب عليها أن تسأل، ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها عن السؤال. وتابع: «أنت فقط؟ ستسافر إلى... إلى افريقيا لوحدك؟»

فأجابها وعقله شارد آلاف الأميال بعيداً عنها: «هذا صحيح.»

«هل لي...؟ هل تنوي أن تأخذني معك؟»

ورأت الإضطراب في عينيه، وكأن أسئلتها كانت تزعجه. وبعد أن وطأ الدرجة الأولى صعوداً إلى الطابق العلوي أجابها، بذهن شارد: «لقد أغتيل أحدهم.» وأنها ستشاهد ذلك في نشرة الأخبار، ستشاهد حياة غاري في نشرة الأخبار. وما حصل بالأمس كان خدعة، حلف متبادل، لكنه لم يتخذها شريكة له. لقد وضع خاتم الزواج في اصبعها، ليتركها بعد ذلك، بنفس الطريقة التي تركها فيها والدها طيلة سنوات خلت، واعداً إياها بأمور لم تتحقق أبداً.

«سأتصل بك حين تسنح لي الفرصة، فالأمور مضطربة هناك ومن الأفضل لك أن تعودي إلى إلدوفر خلال وجودي في افريقيا.»

www.liilas.com

إلى الأبد. ثم إرتعشت وأدركت أنه ليس عليها أن تتوسله كي يحبها.

«غاري... خذني معك... أرجوك خذني معك!»

«لقد وعدت جلبرت أن اهتم بك، لذلك فإن اصطحابي لك إلى خط النار أمر يستحيل القيام به.»

«وعدت والدي؟» ثم برمت خاتم الزواج في اصبعها وقالت: «ألهذا السبب تزوجت مني؟»

حدق بها والقلق يرتسم على وجهه وقال: «ليس لدي وقت لمناقشة هذا الأمر، يا سوزي. ليس الآن.»

ارتعشت وأدركت أنه لن يحبها أبداً. لقد كان هناك عواطف تربط بينهما، لكنه ترك العواطف لنساء أخريات وقد تكون هي احداهن. ولا بد أن السبب الوحيد لزواجه منها هو ذلك الوعد الذي قطعه لوالدها. فهل من طريقة أفضل من ذلك للاهتمام بها؟ ولم يبدو ذلك وكأنه فقد الأمل في حياة زوجية رائعة مع امرأة اخرى في المستقبل. لكنه أخبرها مرات عدة أنه لا ينوي الزواج أبداً لأنه يريد الاحتفاظ بحريته. وقبل أيام قليلة، قال لسوزي ان زواجه منها أمر مختلف، وهي قالت لنفسها ان ذلك معناه أنه يحبها.

لقد قطع وعداً على الاعتناء بها. ولعل زواجه منها من أشد الأمور قسوة، تزوج منها لتنفيذ وعده لوالدها... الرجل الذي رحل وترك خلفه سلسلة من الوعود الزائفة.

فرفعت ذقنها ونظرت في عينيه. لقد كان عابساً، لكنها رأت نفاد الصبر يبرق في عينيه، وإذا كان لديها أي أمل بعد، فقد مات حينئذ.

سألته بنبرة متشنجة: «أتريدني أن أوضب لك ثيابك؟»

«لا. أنا سأفعل ذلك.»

جلست سوزي في المطبخ وأمامها فنجان من القهوة واحساسها بالتوتر والخسارة يتزايد أكثر فأكثر كلما سمعت وقع أقدامه في الطابق العلوي. قامت بعد ذلك وصعدت إلى الطابق العلوي ودخلت مباشرة إلى غرفة طفولتها القديمة وأغلقت الباب، وبعد لحظات قليلة، قرع غاري باب غرفتها برفق.

فلفت ذراعيها حول جسدها بقوة وحدقت بالباب. تمنت لو أنه يفتح الباب ويدخل، فقد كانت تتوق بيأس لأن تسمعه يقول لها انه لا يريد أن يتركها، وأنه سيفتقدها كثيراً خلال وجوده في الجزء الآخر من العالم وأنه يوماً ما سيحبها.

ظلت تحدق بالباب وقلبها ينبض بسرعة، وما ساعدها في هذا الموقف أن الغضب بدأ يشتعل في داخلها. فقد أقسمت أنها حين تكبر لن تسمح لأحد أبداً... أبداً... أن يتركها مرة ثانية! لطالما أرادت أن تتزوج غاري، لكن ذلك كان حلماً أحمق. ذلك لأنها تخيلت أنه سيحبها لدرجة تجعله يظل قريباً منها. ولم تحلم أبداً أنه سيتركها ويذهب بعيداً دون أن يأبه لها.

قال من وراء الباب: «سوزي، أنا ذاهب للتحدث إلى مايك فيما يخص المزرعة.»

لا بد وأن يكون قد انتظر ردها عليه، لأنها لم تسمع أي حركة للحظات قليلة، لتسمع بعد ذلك وقع أقدامه يبتعد. فهو سيهتم بها. بالطبع. لقد قطع وعداً بالقيام بذلك. سيرسل لها النقود ويتصل بها هاتفياً. وعندما يكون لديه متسع من الوقت، فإنه سيأتي إليها ويقلب حياتها رأساً على عقب.

www.liilas.com

سيعتني بها خلال زياراته لأن هناك عاطفة تربط بينهما. لكنها ستكون يوماً ما يائسة إلى حد أنها ستلحق به، تصرخ وتتوسل. وفي ذلك اليوم، سيرحل غاري عنها، كما هو فاعل اليوم.

ارتدت سوزي بنطالاً من الجينز وبلوزة ثم حملت بعد ذلك سترتها وحقيبة يدها، التي وضعت فيها فرشاة أسنانها. بالإضافة إلى الثياب التي ترتديها، كانت تلك الشيء الوحيد الذي ستأخذه معها... فرشاة أسنان.

سألها غاري مرة ثانية: «لماذا هربت؟» لكن من يسألها الآن، هو غاري الحالي، الرجل الذي وجدها بعد بحث دام سبع سنوات.

انتبهت أخيراً إلى أنها كانت تحدق في يده اليسرى لترى خاتم الزواج، لكن الخاتم غير موجود الآن. فحولت انظارها إلى أظافرها القصيرة والمطلية، ثم قالت: «لأنني كنت أعلم مسبقاً ما ستكون عليه حياتنا. ولأنك لم تكن لترسل في طلبي.» أرجعت شعرها إلى الوراء وأدركت أن الموقف الحالي هو كابوس جديد. كان هناك شيئاً عقيماً جداً في الجلوس في حديقة جميلة وطاولة تفصل بينهما بينما كانا يتناقشان في حياة زوجية لم تكن موجودة أبداً. وأضافت: «لقد تزوجت مني ورحلت... طرت بعيداً عني.»

«لم يكن لديّ الوقت لشرح الأمر.» نزع الورقة التي كانت تلف إحدى السندويتشات وراح يتفحص ما بداخلها، وأضاف: «لا بد وأنك فهمت ذلك.»

أخذت سوزي الورقة وجعدتها بيد واحدة، ثم قالت: «ما فهمته كان أن زواجي منك يعني أن أعلق حياتي بينما أنت

تعيش حياتك! وكنت أنا احتل المرتبة الثانية لكل أحمق في العالم يحمل مسدساً أو لديه هدف ما!» أخذت نفساً عميقاً، وشعرت بنبرة صوتها المرتفعة حين قالت: «لم أستطع أن أفعل ذلك، أنتظر... أتساءل... دون أن أتأكد أبداً إذا ما كنت تفكر بي خلال مخاطرتك بحياتك في سبيل نقل الأخبار.»

ولم تتفوه بكلمة واحدة بعد ذلك، حتى أنها حبست أنفاسها لتسمع أنفاس غاري، لكنها لم تسمع شيئاً. فقد كان نباح سوتي يعلو صوت السيارات على الطريق المجاور.

«لقد كنت على علم بما ستكون عليه حياتنا قبل أن نتزوج.»

«لقد كنت صغيرة وحمقاء واعتقدت...» ولا شعورياً وضعت يديها ثانية على الطاولة، فإذا بالورقة التي كانت في إحدى يديها تقع على العشب، لتتابع بعد ذلك كلامها قائلة: «لم يكن يجدر بك أن تتزوج مني وأنت لا تريدني أن أكون قريبة منك!»

«كنت سأرسل في طلبك، حين أعود إلى باريس.»

«حقاً؟» لربما كان سيفعل. فتنهدت وقالت: «إلاّ إذا كان هناك حدث طارىء، مشكلة سياسية أخرى حيث الزوجة غير مناسبة. وماذا كان سيحصل بعد مجيئي إلى باريس؟»

فوقف وقال: «أنت محقة.»

وقفت هي بدورها وقالت بصوت منخفض: «لقد أحببتك حينها. كنت أحبك بجنون، هذا هو السبب الحقيقي لهروبي. لأنني كنت حمقاء حين ظننت أن زواجك مني يعني أنك تبادلني الشعور نفسه.»

«سوزي.»

www.liilas.com

«أعرف أنك لا تثق بهذا النوع من الحب.» ورسمت ابتسامة مصطنعة وتابعت: «لكنني كنت أثق به حين تزوجت منك. لو كنت بقيت، لكنت أمضيت حياتي انتظر، ولكنت تحولت إلى امرأة يائسة، لأنني كنت أثق بذلك حينها.»

ولم يسمع للحظات قليلة تالية أي صوت بإستثناء صوت نبض قلبيهما. وإنحنت سوزي لتداعب أذن سوتي.

«لذلك رحلت عني. أنت امرأة ناجحة الآن عوضاً عن كونك امرأة يائسة؟» كان الغموض واضحاً في عينيه، لذلك لم تستطع سوزي أن تعرف حقيقة ما يشعر به. وأضاف: «لقد تغيرت. أنت أكثر ثقة بنفسك من قبل.»

رسمت ابتسامة ثانية وقالت: «لم أعد طفلة أبداً.»

قال بنبرة قاسية، كالقسوة التي كانت بادية على وجهه: «لم أكن أنوي الزواج منك حينها، لكن والدك كان حديث الوفاة، وبيتر يحوم حولك... يريدك أن تعودي إليه. أعتقد أنه كان عليّ أن أمنحه تلك الفرصة.» شعرت سوزي للمرة الثانية أنه كان يتظاهر عمداً بهذا الهدوء ليخفي عاطفة قوية. فأضافت: «لقد وعدت أبي بأنك ستهتم بي.»

«لقد كان ذلك جزءاً من سبب زواجي منك. لكن الجزء الثاني كان خاصاً بي.» وتحرك فجأة، وإذا بسوتي يبدأ بالنباح، ثم تابع: «كنت معجباً بك. ولو كنت تركتك وحيدة، لكنت حينها رجعت إلى بيتر.»

تشنجت يدها وبقيت حيث هي، على رأس سوتي وقالت: «رغبت بي؟»

هز غاري كتفيه، أما هي فقد شعرت بدوار، لأنه لا بد وأن يكون قد رغب بها إلى حد الجنون كي يقدم على الزواج منها.

«لقد كان التوقيت خاطئاً. لكننا كنا صديقين مسبقاً واعتقدت أننا من الممكن أن ننجح في ذلك.» وأخذ يقترب منها، لكن تعبيراً ما في وجهها أوقفه، ثم تابع: «أنا لم أعرف أنك مغرمة بي حتى ليلة زفافنا، عندما... لقد كنت أعرف أنك معجبة بي، واعتقدت ان الوقت...»

«الوقت؟ كم من الوقت أمضيت في هذه القارة منذ أن رحلت عنك.؟»

«بضعة أشهر من هذه السنة.»

«وماذا عن السنوات الأخرى؟»

«أسبوع هنا وآخر هناك.»

«هذا غير كاف للمحافظة حتى على ظل زواج.»

«لقد وعدت جلبرت بأن أهتم بك.»

«لم تستطع أن تغويني بسبب ضميرك الحي؟»

«إنها غلطة وقد ندمت عليها. لم أنو قط أن أؤذيك.»

«حسناً...» حاولت أن تتكلم بنبرة صوت عادية فقالت: «هذا لا يهم الآن. لقد تمكنت من تجاوز ذلك. إذاً... إلى أين نذهب الآن؟»

«دعينا نمشي.» ثم أشار إلى الأشجار الواقعة على يسارها.

كانت سوزي تعرف ما عليها أن تفعل بعد ذلك. عليها أن تخبره بأمر جسيكا.

اختفى التوتر الذي كان يساوره، وكأنه فقد رغبته في محاربتها، في التغلب عليها بطريقة ما. ربما كان هذا كل ما يريده ليلة السبت: حديث هادىء ومنطقي والدوافع الحقيقية لهروبها.

www.liilas.com

«هل عشت في المكسيك طوال تلك السنوات؟» ثم مشى نحو الأشجار حيث يجري نهر صغير. وكان سوتي يحوم بين رجليّ غاري.

«كيف عرفت أنني كنت في المكسيك؟»

«من لوحاتك، صورة السوق، وصورة الفتاة التي تلعب قرب الشاطىء. فالصورتان تحملان سمات من أميركا اللاتينية.»

ما من أحد يستطيع أن يعرف عن أميركا اللاتينية كما يعرف غاري. فقد كان محظوظاً في أميركا الوسطى. وقد سجل تقاريراً كاملة عن كل المؤتمرات العالمية والفضائح السياسية في أميركا الجنوبية.

«عملك جيد. جيد جداً، وأنت بالطبع تعلمين ذلك.»

«لم تتوقع مني أن أكون ناجحة إلى هذا الحد؟»

«ليس إلى هذا الحد.» واستدار إليها بهدوء مبتسماً وقال: «هل تسير أمورك على خير مايرام؟ إذا كنت بحاجة للمال...»

«ليس عليك الاهتمام بي، يا غاري.»

راح يتأمل عينيها وكأنه لم يصدقها تماماً. كان سوتي ينبح، فوضع غاري يده على رأس الكلب، الذي جلس فجأة. وسأل: «من هي تلك الفتاة المرسومة على اللوحة التي اشتريتها؟»

كان النهر أمامهما يجري فوق الحصى ومتوجهاً نحو المحيط. ولم تستطع أن تسمع صوت خرير الماء عندما كانا يجلسان إلى الطاولة. فاقتربت إلى ضفة النهر وجلست على العشب. وأدركت أنها لا تملك الشجاعة كي تخبره عن جسيكا.

«لمسة يدك تؤثر على سوتي بشكل غريب.»

لطالما كان غاري لطيفاً مع الحيوانات. فعندما اشترت العمة جاكي الخيول، كان غاري هو من قام بترويضهم. وعندما دخل إلى المزرعة كلب تملأ جسمه أشواك القنفذ المؤلمة، كان غاري هو من اهتم به ونزع الأشواك برفق شديد بينما كان يتكلم إلى الكلب بنبرة واثقة ومهدئة.

«الصورة؟ من هي الفتاة المرسومة على اللوحة؟»

أدارت رأسها لتنظر إليه، وعندما التقت عيناهما، أدركت أنه لم يعرف بأمر جسيكا. ليس بعد، لكن غريزة رجل الأخبار أخبرته أن الصورة تحمل سراً يجب اكتشافه.

جلس على العشب بعيداً عنها مسافة عدة أقدام. رفع سوتي رأسه، لكن غاري قال كلمة فإذا بالكلب يهدأ ثانية ويجلس على العشب.

قال: «هناك أمر أريد أن أحدثك عنه، يا سوزي.»

«حسناً.» رغم أنها كانت تعرف أنه ما من وقت أفضل من هذا كي تخبره عن جسيكا. فقد كان يجلس إلى جانبها، وبينما كانت تراقبه، تمدد على العشب بإسترخاء تام. ولم يعد الغضب يشع من عينيه الآن، وكأنهما تقريباً قد عادا صديقين مرة ثانية.

كانت صخرة تقف في وسط النهر وتعيق جريان الماء. فإذا بالزبد يتكون حولها، فيشكل حاجزاً ثابتاً وسط المياه النقية الجارية. امتد صمت غاري لدقائق قليلة، وتذكرت مرات خوالي حين كانا يجلسان قرب ضفة النهر، وشعرت بالراحة.

«لربما قمت بمجازفات عديدة وخطيرة.» قال جملته هذه

www.liilas.com

أخيراً، وبدا لها صوته وكأنه يصلها من مكان بعيد.

كان يتفحص ورقة من العشب حين قال: «في المرة الأخيرة... في أميركا الوسطى... قطعت عهداً على نفسي أنني إذا عدت سالماً فإنني سأقوم باسترجاع بعض الأشياء التي أيقنت ضرورة وجودها في حياتي.»

حاولت أن تحوّل نظرها عنه، لكنها لم تستطع فقد كانت تعابير وجهه غامضة، وبالرغم من الجدية الشديدة الوضوح في نبرة صوته، استطاعت سوزي أن تفهم ما رأته عيناه، وكأن غاري كان سعيداً في حياته وبدوره الذي يؤديه فيها.

«أشياء مثل ماذا؟»

داعب العشب بطريقة ذكرتها بطفولتهما، فلفت ذراعيها بقوة حول خصرها وكأنها لا تريد أن تتذكر ذلك.

«العائلة. منزل حقيقي.»

«لكنك ستفقد صوابك إن مكثت في مكان واحد.»

فابتسم وقال: «أجل. أعتقد هذا. وأنا أشك أنني سأستطيع التوقف عن كشف اسرار الأشخاص الذين لا يحق لهم الاحتفاظ بأسرارهم، أو أنك ستستطيعين التوقف عن رسم لوحات جميلة.» ثم جلس واتكأ على إحدى ذراعيه وتابع: «أريد أن أكوّن عائلة. أطفال. لهذا السبب كان عليّ أن أراك لأسوّي هذا الأمر بيننا.»

«تسوّي؟»

انحنى قريباً منها وقال: «يمكننا أن ننهي هذا الزواج، يا سوزي، أو نكون زوجين حقيقيين؟»

«نحن؟»

«أجل، نحن.» كانت نبرة صوته جدية. لم يكن هناك سخرية في عينيه، لا عواطف، لا يأس شديد كالذي شعرت به حين اعتقدت أنها ستمضي بقية حياتها دون الحب الذي كانت تتوق إليه يوماً.

الحب والأطفال والبيت. كان من السهل تخيل ذلك، لكنه كان حلماً من نسج الخيال، لأنه لم يتحدث أبداً عن الحب، وهو غريب بالنسبة إليها الآن. وربما كان دائماً كذلك.

«هدفك إذاً أن تكوّن عائلة؟ وإذا لم أكن أنا تلك المرأة، فهل ستبحث حينئذٍ عن امرأة أخرى؟»

«نحن متزوجان، يا سوزي. وموضوع الطلاق أمر لم آبه به يوماً قط.»

«لأننا متزوجان، أنت تريد...»

«أن أحاول ثانية. أجل.» اقتلع عشبة من الأرض بحركة عصبية وتابع: «هل هناك من سبب يمنعنا من ذلك؟ هل أنت مرتبطة برجل آخر؟»

وضعت إحدى يديها على العشب وأخذت تنظر إليها. لقد كانت اليد التي احتوت خاتم الزواج لفترة قصيرة جداً. وسألته: «ألست... مرتبطاً؟»

«لا.»

آه من غاري! لطالما كان قادراً على إرباكها. فضغطت يدها على العشب وقالت: «لا نستطيع. لن أفعل!»

انها أقوى مما كانت عليه منذ سبع سنوات خلت! حين قال: (اعتقد أنه من الأفضل أن نتزوج.) وقد أدّى بها ذلك إلى ارتكاب أكبر غلطة في حياتها.

«بلى نستطيع.» كان يتحدث بنبرة صوت عادية وكأنه

www.liilas.com

يناقش أموراً شخصية أو يتحدث عن الطقس، وتابع قائلاً: «أنت قلت انك لن تفعلي. لمَ لا؟»

«لأنه...» القيام بذلك عمل مجنون! لماذا لم يطلقها بسبب الهجر منذ سنوات؟ «إذا تزوجت من أحد مرة ثانية...»

«إننا متزوجان، يا سوزي.» ورمى العشب من يده.

«ليس بالمعنى الحقيقي. فنحن لم نكن كذلك أبداً.» ورأت عينيه تنظران إلى ذراعيها وتساءلت ما إذا كان يستطيع أن يعرف ردها من خلال حركاتها. فهزت رأسها بقوة وقالت: «لا، يا غاري. أنا لن اتزوج من رجل آخر إلا إذا كان كلانا مغرم بالأخر. ولا يوجد هناك سبب آخر يجعل ذلك الأمر يحصل.»

«لقد كنت مغرمة بي يوماً.»

ابتسمت بأسى وقالت: «أنت حتى لا تثق بالحب.»

حدّق بعينيها بإمعان، وقال: «ربما لا، لكن يمكنك أن تشعري ثانية بما كنت تشعرين به سابقاً.» ولم تستطع أن تقرأ في عينيه أي شيء. فقد كان يفكر، يحلل، ويختبرها. وأضاف: «أعتقد أننا نستطيع مناقشة الموضوع. ما الضير في ذلك؟»

«لا! مستحيل. ولا بعد مليون عام.» حاولت أن تحافظ على نبرة صوت هادئة، لأنه كان من الضرورة أن تقنعه أنها حقاً تعني ما تقول. ثم تابعت: «إذا وقعت في الحب مرة ثانية، فإنه سيكون مع نمط مختلف من الرجال. رجل يؤمن بالحب.»

رأت شيئاً ما في عينيه، وكأنه فهم أكثر مما أرادت أن تقول له. فقالت بيأس: «أريد حريتي. أنت تخيفني. أنت

مفاوض من الدرجة الأولى وتفوقني مهارة في الكلام. إذاً، هلاّ لك إذا سمحت أن تطلقني. أنت لست مغرماً بي، وأنا لست...» ووضعت يديها فوق بعضهما البعض. لم تكن العمة جاكي ليعجبها ما تقوم به سوزي وغاري. فهما تزوجا لمدة أربع وعشرين ساعة، ومن ثم يحاولان فسخ هذا الزواج في حديقة في إيغل وكأنهما يناقشان أمر تقطيع فطيرة لا يريدها كليهما. ثم قالت: «أنا لم أعد أحبك.»

فاقترب منها وقال: «الحب مجرّد كلمة، وما بيننا لم ينته بعد.»

همس في أذنها قائلاً: «لا تقرري قبل أن تحاولي.» لقد تاهت سوزي مرة بسبب حبها، وها هي تتوه ثانية، لكنها هذه المرة ستتوسله لمنحها ما يستحيل ان يمنحها إياه، أن تكون الأولى في قلبه وحبه الوحيد دائماً.

«غاري...»

«أنتِ لم تنس. لا شيء تغيّر. سترجعين إليّ، فأنت ترغبين بالرجوع بقدر ما أرغب أنا.»

شعرت بانحباس أنفاسها، وإذا بها تقول: «غاري، كفى! أنا...»

سألها: «هل هذا حقاً ما تريدين؟ أتريدينني أن أدعك وشأنك؟»

أدركت أنها لن تقوى على مقاومته، قالت بيأس: «لديّ طفلة. طفلتك.»

جفل غاري لسماعه هذا، فابتعد عنها، وظنت سوزي للحظة أنه سيغمى عليه.

«الفتاة التي في اللوحة؟»

www.liilas.com

«أجل.»

«عندما رأيت الصورة للمرة الأولى، ذكرتني هذه الفتاة بك.» كان ينظر إلى سوتي، ويتكلم بنبرة صوت كان يستخدمها حين كان يعلن عن خبر سيىء عبر شاشة التلفزة. وأضاف: «ذكّرتني بك عندما كنت فتاة صغيرة. وللحظة اعتقدت... تساءلت...» هزّ رأسه بقوة وقال: «قلت لنفسي انه لا يمكنك أن تخفي ذلك عني. ليس لمدة ست سنوات. أهي في السادسة من عمرها؟»

«ستتم السادسة الشهر المقبل.»

فوقف فجأة وقال: «أريد أن أراها. أريد أن أراها الآن.»

«حسناً.» لكنها كانت تعرف أن الأمور لن تنتهي عند هذا الحد. فقد كان غاري معتاداً على الامساك بزمام الأمور، وهذا الأمر لا يختلف عن أي أمر آخر. وتابعت: «نحن نعيش على بعد خمسة عشرة ميلاً بعد الحدود. من الأفضل أن تقود سيارتك. سأقلك إليها.»

«لا. يمكنك أنت أن تأخذيني معك.»

أدركت ما كان ينتظرها، فقد كان غاري متوتراً جداً.

«لا أريد أن أعود إلى إيغل الليلة، وستحتاج إلى...»

«يمكنك إستضافتي لليلة واحدة. أنا والد ابنتك، ومازلت زوجك.»

«لا.»

«نحن لم ننفصل قانونياً بعد. إن كنت تريدين المناورة، يا سوزي، فأنا مستعد. لكن قد يكون الأمر قاسياً. أو يمكنك أن تمنحي القليل.»

«ماذا أمنح؟» حب لن يعود أبداً؟ فهي لم تحبه! لقد كان

ذلك حلم طفولة، وستكون حمقاء في العشرين من عمرها إذا كانت تظن أن ذلك ممكن.

إن ذلك ممكن حصوله في القصص الخيالية فقط.

«سواء أعجبك ذلك أم لا، الأمور ستتغير الآن.»

www.liilas.com

الفصل السادس

أشار حارس الحدود المكسيكي لهما بمتابعة السير دون اي توقف.

«ألا يجب أن يكون معي سمة دخول سياحية؟»

فانحرفت عند المنعطف بسرعة كبيرة وقالت: «يمكنك ان تمكث ثلاث ايام دون أي اشكال شرط الا تتجاوز ايفيردا.»

«وهل منزلك يقع بعد منطقة ايفيردا؟»

«لا.»

عبر الاثنان مسافة ميل واحد في صمت تام. ومع كل نفس كانت سوزي تلتقطه، كان يمتزج مع الهواء الذي تتنشقه رائحة عطر غاري. فهو موجود حقاً، وقريب جداً، يجلس على المقعد المحاذي لها مرتدياً كنزة لم تخفِ قوة عضلاته. وعندما اقتربا إلى الطريق الرئيسي، انعطفت سوزي إلى الطريق الفرعي، رغم انها تسلك دائماً الطريق الرئيسي. لكنها فضلت القيادة بين القرى اليوم لأنها كانت بحاجة إلى التأخير الذي يسببه الشرطي الذي يقف في وسط شارع من شوارع القرية ويوقف السيارات ويجمع التبرعات لبناء مستشفى للبلدة. فناولته سوزي قطع نقدية بقيمة الفي بيسو، وناوله غاري عشرة دولارات اميركية.

«اعتقدت انك لا تحب هذا النوع من العمل.» وشعرت بخجل مما قالته، لأنها تعرف جيداً أن غاري كان يهتم بذلك دائماً.

«أشك بانك اعتقدت ذلك.» كان مسترخياً في مقعده، ثم سألها: «هل تسكنين في واحد من هؤلاء المنازل العالية المنفية؟»

كانا قد مرا بعدد من المنازل المبنية على الطراز الأميركي بين القرى، منازل حديثة بنيت على قمم تلال تطل على المحيط الهادىء.

«شيء من هذا القبيل. لقد استأجرت كوخاً من سيدة اميركية تمتلك واحدة من هذه المنازل العالية.»

«متى بالضبط أتيت إلى هنا؟»

هزت كتفيها، فهي لم تستطع ان تفهم لماذا لم تقل له وبكل بساطة وصراحة ما يريد معرفته فهو سيعرف كل شيء في النهاية.

سألها موضحاً: «بعد أن أنجبت الطفلة؟»

تنهدت وقالت: «قبل ذلك. قبل أن تولد.»

«هل أسميتها على إسم والدتي؟»

«لقد كانت والدتك بمثابة والدة لي، أنا أيضاً.» وشعرت بالدموع تترقرق في عينيها، لكنها حاولت جاهدة واستطاعت ان تحبسها ثم ركزت نظرها على الطريق، لكنها كانت تشعر أن غاري يراقبها.

«أوقفي الشاحنة.» وأوقفها في وسط الشارع، لو فعلت ذلك في الولايات المتحدة، لما كان الناس توقفوا عن التزمير، لكنها الآن في المكسيك. والسيارة التي كانت وراءها انعطفت عنها وما ان اصبحت إلى جانبها، حتى سمعت أحدهم يصرخ باللغة الاسبانية بسبب توقفها بهذه الطريقة.

«أين سجلت الوثيقة؟»

ردت بهمس: «هنا، هنا في المكسيك.»

«ولماذا أخفيتِ أمرها عني؟»

«أعلم أن ذلك لم يكن عملاً صائباً، لكنني عندما اكتشفت انني حامل، كان من الصعب أن أرجع وأقول انني غيرت رأيي لأنني حامل. كنت انوي إعلامك لاحقاً.»

«إلى متى كنت تنوين الانتظار حتى تخبريني بذلك؟ إلى ان تبلغ العاشرة من عمرها، الخامسة عشرة، أو ربما عندما تتم الحادي والعشرين من عمرها؟»

هزت رأسها بقوة ونجحت في حبس دموعها، وقالت: «لقد كنت في الشرق الأوسط حين ولدت، فانتظرت اترقب عودتك كي... ثم اختفيت في لبنان. ظننتك مت. الجميع اعتقد ذلك. وجلست اراقب الأخبار يومياً، والرعب يملؤني حين اتخيل انهم قد يصورونك وأنت تقتل. تخيلتها وهي تراقب الأخبار تماماً كما فعلت أنا حين رأيت الارهابيين يقتلون والدي... أردتها ان تكون سعيدة، لا أن تعيش وهي تحلم بزيارات من والد امضى حياته وهو يتصل ليعتذر عن مجيئه او يؤجله!»

أطبق اصابعه على راحة يده وقال: «لقد جعلتني كوالدك دون أن تتروي لتري تصرفاتي.»

لفت اصابع يدها حول المقود وقالت: «لقد كان والدي مرشدك، وكنت ترى العالم من خلال عينيه.»

«الأطفال يرون الكبار بالأبيض والأسود، وحين بدأت أسير على خطاه، لم اكن غافلاً عن أخطائه. لقد اعجبت به مهنياً، وأحببته فهو رجل لطيف، لكنني كنت اود خنقه

لاستمراره في قطع العهود لك رغم ادراكه انه لن يستطيع تنفيذها. هل تتخيلين انه فقط لأنني ووالدك اصحاب مهنة واحدة، فاننا نتشارك الآراء ذاتها عن كيفية تصرفنا كآباء؟»

ظنت سوزي انها احسنت التصرف حيال ذلك. حتى أنها رحلت عنه، بسبب افتراض خطر في عقلها وحدها لحظة سماعها رنين جرس الهاتف ذلك الصباح. وقد تكون غلطتها التي لا تغتفر هو انها لم تفكر بواقعية في ذلك الافتراض خلال السنوات السبع فيما يخص جسيكا.

«لم أكن أريد ايذاء جسيكا.»

«هل تعرف هي عني شيئاً؟»

«أجل، لقد سألتني وأنا... انها تشاهدك عبر شاشة التلفزة.»

«إذاً أنت لم تحميها من مواجهة ذلك رغم كل شيء.» ثم ابتسم ابتسامة واهية وتابع حديثه: «وكيف شرحت لها عن فشلي في لعب دور الأب حيالها؟ هل أخبرتها انني لا آبه لأمرها؟ هل...»

هزت رأسها بقوة وقالت: «لا! لا يا غاري. لقد اخبرتها بانك لا تعرف بوجودها وأننا انفصلنا وأنا لم اخبرك أبداً أن لك طفلة. قلت في نفسي اننا قد نراسلك يوماً و...» وحاولت حبس دموعها هذه المرة لكنها لم تنجح.

قال لها بحزم: «انزلي من الشاحنة، أنا سأقود.»

فتحت سوزي الباب ونزلت، ومرت من أمام الشاحنة، فاذا بهما يلتقيان في هذه النقطة. فتوقف ونظر اليها قائلاً: «شكراً لك لأنك اخبرتها الحقيقة.»

«ما كنت لـ...»

www.liilas.com

«تكذبين؟ كنت أعلم انك لن تفعلي. كفي عن القلق، يا سوزي. سينجح الأمر.»

لكنها لم تكن تعرف كيف سيحصل ذلك. فقد كان يقول منذ لحظة ان الأمر معقد. وهو محق، فقد كانت جسيكا ستحب والدها من النظرة الأولى، وستكون رغبة غاري اكثر من مجرد زيارات لابنته. فهو سيريد الاهتمام بشؤونها وتحمل مسؤوليتها. كان على سوزي أن تدرك منذ البداية أن غاري لا يمكن ان يكون ابداً ذلك النوع من الآباء الذي كان ينتمي اليه جلبرت ووكر. لقد كان والدها يهتم بشؤونها فقط عند الضرورة القصوى. فهي كانت في المرتبة الثانية، الثالثة، وأحياناً الأخيرة في قائمة اولوياته. لكن غاري... قد تضغط هموم العمل عليه بسبب سفره إلى اميركا الجنوبية أو افريقيا وتشغله عن عائلته احياناً، لكنه لن يقطع عهوداً لن يتمكن من تنفيذها.

ما عدا في تلك المرة - حين تبادلا القسم يوم عقد قرانهما. وربما كان هذا هو السبب الذي جعلها تعتقد ان معرفة جسيكا بغاري قد تكون كارثة. أو ربما هي تظاهرت بأنها تعتقد ذلك لأن الأمر سيكون اسهل من الاعتياد على مشاركة جسيكا مع غاري ويبقى قلبها، أي سوزي، ملكاً لها وحدها. فهي لم تعد تحبه، لكن الانجذاب كان لا يزال موجوداً، انجذاب عاصف وخطير.

ادار غاري محرك الشاحنة وانطلق بهدوء.

قالت له: «ما كنت أتوقع ان نصل يوماً إلى هذا الموقف.»

«أنت لم تحبي يوماً الحلول الوسطى، لهذا السبب نحن في هذا الموقف.»

«ذكرني بموقف واحد قدمتَ فيه حلاً وسطاً؟»

نظر اليها نظرة حادة بعد ان توقف فجأة بسبب ثلاثة اطفال كانوا يلعبون بالكرة في وسط الشارع، وقال: «هل اجبرتك يوماً على القيام بأي شيء؟ وإذا كنا سنتناقش في أمور ماضية، أرجو ان تحددي.»

أطلقت سوزي تنهيدة خيبة، فهو فعلاً لم يجبرها على القيام بأي شيء، لم يجبرها على الزواج منه، ولم يجبرها على العودة إلى المنزل حين هربت منه إلى إلدوفر عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها. ففي كلا المرتين، كان غاري يفضي ما عنده من كلمات، وهي كانت تنفذ دون اي نقاش.

«هل سنتناقش؟»

قالت: «لا جدوى من النقاش معك. ذلك لأنك تحول كل حديث إلى مناقشة طويلة.»

«لا أرى ضيراً في نقاش منطقي، ولو كان طويلاً.»

تورد خداها، فأدارت وجهها إلى اليمين وراحت تنظر من النافذة، كي تتجنب النظر إلى غاري ولا حتى بطرف عينها. وركزت نظرها على المشهد الذي كانت تراه. طريق ترابي، وأطفال مكسيكيون حفاة يلعبون، وطقس دافىء يميل إلى الحر. آه لو كانت تستطيع أن تتوقف هناك لبعض الوقت وتحاول نقل ذلك المشهد على احدى لوحاتها.

«أنت تستخدم منطقك كسلاح، ربما لهذا السبب أنا خائفة من وجودك في حياة جسيكا.»

«ماذا تتخيلين انني سأفعل لها؟»

«ستسيطر على حياتها.» ولفت ذراعيها حول ساقيها

www.liilas.com

المطويتين بقوة أكبر وظلت تنظر من النافذة، وتابعت: «ستقرر ما يجب أن تكون عليه حياتها. وما أريده او أشعر به أنا، هذا لا يهم.» ونظرت إليه، فاذا به ينظر امامه ويقود باسترخاء ازعجها. وتابعت: «لن ادعك تفعل ذلك، يا غاري. أنا لم أعد طفلة، وأنا لا أعيش في كنفك. انها ابنتي و...»

«ألست تبحثين عن المشاكل؟ لماذا لا تنتظري حدوثها قبل أن تبداي الحرب؟»

فتنهدت بعصبية وقالت: «انني فقط اعلمك بالأمر، احذرك. جسيكا تعيش معي، انها في وصايتي.» ومن النظر إلى وجهه استطاعت ان تعرف انها ارتكبت غلطة.

«أتعنين انك تريدين معالجة الموقف بهذه الطريقة؟» كان لا يزال ينظر امامه، لكن التجهم كان بادياً على وجهه وأضاف: «قضية وصاية؟ إلى أي جهة انعطف؟»

«غاري، أنا لم...»

«إلى أي جهة؟»

«إلى اليمين.»

فانعطف إلى اليمين، وقال بعد ذلك: «أتريدين تسوية هذا الموضوع في المحكمة؟»

تخيلت نفسها تقف في موقف المتهم وغاري يستجوبها، فقالت في نفسها ان الأمر لن يكون كذلك. فسيكون هناك محامياً، وليس غاري، لكنه سيعين محامياً يمثل شخصيته، شخص حاسم كلماته حادة كالسيف. وهي لن تكون في موقف تحسد عليه، فلطالما قال لها الناس انها تبدو وكأنها في السابعة عشرة من عمرها، وليست اكبر بعشر سنوات، وفي المحكمة، سيظهرها غاري على أنها طفلة طائشة،

تزوجت وهربت، وكتمت سر وجود ابنتها بأنانية بالغة، وهربت بها إلى خارج حدود البلد إلى بلد غريب. يمكنه ان يجعلها تبدو انسانة غير مسؤولة، طائشة، حتى انه قد يجعلها تبدو غير صالحة كأم.

سألته بهمس: «اتريد ذلك؟ هل ستأخذني إلى المحكمة؟»

لم يجب غاري على سؤالها.

كان المنزل والكوخ خاليين من الناس لدى وصول غاري وسوزي.

«جسيكا وليز ذهبتا إلى السوق.»

«ليز؟» وارتفع حاجباه استغراباً يدل على قلة ما يعرفه عن حياتها في السنوات السبع الأخيرة. وتابع: «صاحبة الكوخ الذي تسكنين فيه؟ وهي ايضاً الصديقة التي كانت برفقتك حين وجدت سوتي؟»

عضت على شفتها وقالت: «من كان برفقتي جسيكا وليس ليز. أما ليز فقد استأجرت الكوخ منها.» وأشارت إلى الكوخ الأبيض الصغير ذات الطراز الشرقي الذي كان يمكن رؤيته من وراء المنزل، وأضافت: «هناك أعيش، أعتقد انه من الأفضل أن ننتظر في الداخل.»

لكن ما ان دخلا حتى بدا غاري متوتراً، وراح يتأمل اللوحات والصور المعلقة على الجدران، متنقلاً بنظره من صورة السوق إلى الصورة التي رسمتها لجسيكا وسوتي بينما كانا يركضان نحو الصخور. وقالت: «لون بشرة جسيكا مثل لون بشرتك.»

رغبت في أن تسأله عما ينوي فعله لاحقاً. لكنها كانت اكيدة من أن حياتها ستتغير وانه عليها ان تجتاز هذه

www.liilas.com

المرحلة الدقيقة، فهو سيحاول ان يسيطر على الأمور، وسيكون عليها مقاومته، وقد ادى تفكيرها بذلك إلى جعلها تمتعض.

«وعيناها مثل عينيك.»

استدار وسألها: «كيف دبرت امورك عندما اكتشفت انك حامل؟ لطالما تساءلت كيف كنت تعتاشين.» وشعرت بالاستياء في داخله رغم الهدوء الذي يتظاهر به.

فنظرت في عينيه وقالت: «هل يجعلنا هذا متساوين، اذاً؟ لأنني لطالما تساءلت عن السوء الذي قد اصابك او سيصيبك.»

«لقد كان هناك بوليصة تأمين والدك التي كان يمكنك صرف نقودها وهي لا تزال موجودة. وأنا... كان باستطاعتك على الأقل ان تطلبي مني المال.»

«لم أكن بحاجة!» وعضت على شفتها بسبب الغضب الذي بدا في نبرة صوته وتابعت: «أتعتقد انني لم اكن قادرة على تدبير اموري؟ لقد كنت اعمل كحاجبة عندما اكتشفت انني حامل...»

«حاجبة؟ ألم يكن بامكانك ايجاد عمل في معرض فني؟»

«كنت أخشى ان تجدني.»

اقترب غاري منها، فارتعشت وتراجعت قائلة: «كنت متأكدة انك ستبحث عني، وهناك كنت ستبحث في المعارض الفنية، معاهد الفنون.»

وضع يديه في جيبيه وسألها قائلاً: «هل كان الأمر سيئاً إلى هذا الحد لو كنت عثرت عليك؟»

«هل كنت ستتركني اعيش حياتي بطريقتي الخاصة؟»

فنظر إليها وقال: «كنت تعملين كحاجبة بينما كنت تحملين طفلتي، بالتأكيد كنت تعلمين انني كنت سأهتم بشؤونك، حتى لو شعرت ان العيش معي مستحيلاً.»

«أعيش معك؟» حاولت واستطاعت أن تتكلم بهدوء، لكنها كان تشتعل غضباً في داخلها وتابعت: «لكنت بقيت محتجزة في جزيرة توبس فيما أنت تجول العالم حاملاً مكبر الصوت وتنقل اخبار العالم، تاركاً اياي بانتظار نشرات الأخبار! ولكن...» ولم تتمكن من كبت غضبها اكثر، فقالت ثائرة: «ألا يمكننا أن نتوقف عن تحليل الماضي؟ زواجنا انتهى.»

قال بهدوء: «هذا الأمر لن ينتهي ابداً.» ثم نظر اليها وقال: «ليس الآن.» واخرج يديه من جيبيه ووضعهما على كتفيها، وادارها لتواجه الحائط وصورة جسيكا. كان باستطاعتها ان ترى النافذة ايضاً، ومن خلاله سيارة ليز الحمراء تقترب.

«لقد أصبح لدينا هذه الطفلة، لذلك فانه مهما كان بيننا من سوء تفاهم او اختلاف، وجودها يجعل انفصالنا مستحيلاً.»

كانت سوزي تعلم انه محق. وسيظهر عبر شاشة التلفزة، واسمه يتكرر على لسان جسيكا، مع كل دقة من دقات قلبها!

كان يجب عليها أن تمحو صورة غاري من مخيلتها. ما كان يجب ان تلتقيه، ماذا تفعل كي تدفن مشاعرها قربه.

«لقد التقيت ليز في الفندق حيث كنت اعمل... في إيغل.» قالت جملتها هذه لتحاول تجاهل ذلك الاحساس الذي خالجها كونه موجود هنا. وسمعت صوت باب سيارة يطبق في الخارج.

«إيفل؟» سألها ذلك عندما طال صمتها.

فتحركت باضطراب وقالت: «لقد اكتشفت مؤخراً انني... لقد توفي زوج ليز منذ فترة قصيرة ولم تعرف ما عليها فعله. لقد جرحت في الحادث الذي قتل فيه زوجها و...» وإذا بها تتكلم بسرعة أكبر وأكبر، إلى أن بدا كلامها كالهذيان: «ليز... حسناً... لم تحتمل العيش وحدها هنا. كانت قد خرجت للتو من المستشفى حين رأيتها في الفندق. لكنها... أرادت أن... اخبرتني انهما كانا سعيدين هنا و... تحدثنا. كنت انظف غرفتها يومياً و...»

لقد ظهرت ليز أمامها والدموع تترقرق في عينيها، هكذا كانت عندما بدأ الحديث والصداقة. استدارت سوزي فجأة، وقد كان الأمر اسوأ، ان تواجه غاري والحائط وراءها. وعيناه تحدقان بها وكأن الأسئلة كانت في عينيه وليست في صوته. واستطاعت ان ترى ندبة صغيرة بيضاء مباشرة تحت عينه اليمنى، لم تظهر واضحة عبر شاشة التلفزة.

«و؟» بدت تقاسيم وجهه اكثر وضوحاً من أي وقت مضى، مع بعض التغيرات بسبب مرور السنين. باستثناء شعره الأشقر الذي لم تَشُبْهُ أي شعرة رمادية.

«كانت تحتاج إلى شخص يعيش معها، يساعدها وأنا كنت بحاجة...»

«لمكان تلدين فيه طفلتنا؟»

«أجل.» وسمعت صوت شيء آخر يطبق في الخارج، كان ذلك غطاء صندوق السيارة. وتابعت: «كان الأمر مناسب لكلينا. وبعد أن ولدت جسيكا بقيت هنا لأن ليز كانت لا تزال بحاجة لي، مما منحني مزيداً من الوقت كي اهتم بأمور

جسيكا إلى ان أجني مبلغاً كافياً من المال بعد بيع لوحاتي. أنا... وبعد فترة، وعندما لم تعد ليز بحاجة كبيرة إلى مساعدتي، استأجرت منها الكوخ. نحن...» سمعت وقع أقدام في الخارج، صوت خطوات جسيكا الرشيقة والسريعة، وصوت خطوات ليز البطيئة بالاضافة إلى صوت طقطقة عكازها، فتنهدت سوزي وقالت: «لقد عادتا.»

وفتح الباب.

أدار غاري رأسه، وجفل لرؤيته جسيكا تقف عند عتبة الباب وليز وراءها، بشعرها الأحمر الطويل الذي يتناقض مع شعر جسيكا القصير والقاتم اللون.

جسيكا بشعرها البني، وساقيها البرونزيتين اللتين تبدوان قاتمتي اللون بالمقارنة مع بنطالها الأبيض وبلوزتها البيضاء، جسيكا... وللحظة واحدة تجمدت في مكانها، محدقة بغاري وهو محدق بها.

«أنت والدي، أليس كذلك؟» ثم وضعت احدى يديها الصغيرتين على وجهها، وزمت فاها، وراحت تدقق بهيأته وكأنها سترفضه كأب اذا لم يعجبها، وأضافت: «تبدو سميناً اكثر عبر شاشة التلفزة.»

اقترب غاري نحو جسيكا خطوة واحدة، فقط واحدة. فاتسعت عينا جسيكا، لكنها لم تتراجع. وأومأت ليز، التي كانت تقف وراء جسيكا، بحركة من يدها لسوزي تطلب منها عدم التدخل.

«أجل. أنا والدك.»

رأت سوزي على وجه غاري التصميم على إيجاد رباط بينه وبين الطفلة. ثم نظرت إلى جسيكا، لترى ما رآه غاري،

www.liilas.com

شعر بني وبشرة برونزية، وعينين زرقاوين رائعتين. هذا بالاضافة إلى صوت رفيع لا يتناسب مع عمر صاحبته، وطريقة نظراتها إلى الشخص الذي يكلمها وكأنها تستطيع ان تعرف ما سيقوله قبل ان ينطق به.

إنها ابنة غاري.

«لماذا لم تعد تظهر عبر شاشة التلفزة ابداً؟»

فأجابت سوزي: «هو لم يظهر منذ شهر مضى فقط.» وعضت على شفتها حين رأت غاري ينظر اليها، فلطالما كان لديه القدرة على قراءة افكارها، وها هو الآن يكتشف انها كانت تترقب اخباره باستمرار.

«ها أنا هنا عوضاً عن التلفزيون.» وراح يتأملها بإمعان وكأنه يحاول أن يرى تأثير كلامه عليها. واضاف: «لو كنت اعلم بوجودك لكنت اتيت فوراً.»

هزت جسيكا رأسها وقالت: «لطالما قالت والدتي ذلك.»

«ماذا كنت تفعلين اليوم؟» سألها ذلك وهو لا يزال يراقب جسيكا بدقة، وكأنه يقرأ لغة حركاتها، ويقدر ردات فعلها قبل ان يقترب منها اكثر، وكانت سوزي قلقة من ان يكون غاري يتوقع استجابة فورية من جسيكا، لكنه لم يكن كذلك.

خطت جسيكا خطوة واحدة داخل الغرفة، خطوة واحدة باتجاه غاري، لكنها توقفت قبل ان تصبح امامه مباشرة، وقالت: «كنا قرب الشاطىء، ورأينا رجلاً لفحته الشمس.» وعبست وكأنها متضايقة لأجل ذلك الرجل. وتابعت: «واليوم كذلك كنت عند ماري، وأكلنا كعكاً محلى، لكن ماري لم تتمكن من اكل ست كعكات رغم انها حاولت القيام بذلك.»

«هل ماري صديقتك المفضلة؟»

«هاه. ربما، لكننا نتخاصم احياناً، انني اعلّم ماري اللغة الانكليزية، فهي لا تستطيع ان تتكلم مثلنا لأنها مكسيكية، ووالداها لا يعرفان الانكليزية.»

«اتتكلمين الاسبانية؟»

«أجل. أتريد ان ترى الدمى خاصتي؟»

«إذا أردت انت ذلك؟»

فهزت رأسها بجدية، وابتسامة خفيفة تتراقص في عينيها وقالت: «هيا بنا، اذن.» استدارت وتوجهت مسرعة نحو الممر المؤدي إلى غرفتها.

وتبعها غاري.

إلتقت عينا سوزي بعيني ليز، وقد مرت لحظات صمت قبل ان تتمكن احداهما من الكلام. دخلت ليز إلى غرفة الجلوس وراحت تجول بنظرها على انحاء الغرفة، وكأنها كانت تتوقع ان ترى آثار جدال عنيف بين سوزي وغاري.

«هل أنت بخير؟»

هزت سوزي رأسها وردت قائلة: «أجل. لا أعرف، منذ أن اعلمته بأمر جسيكا، بدا لي تصرف غاري منطقياً وهادئاً، لكنني متأكدة من انه غاضب.»

«حسناً.» نظرت ليز نحو الممر. فقد كان باستطاعة سوزي وليز ان تسمعا صوتهما، صوت غاري الهامس يسأل اسئلة، وجسيكا تجيب بصوت متحمس.

عبّرت سوزي عما رأته في عيني ليز بقولها: «له الحق في ان يكون غاضباً.»

«هل ستصطحبينه لتناول العشاء الليلة؟ أم انك تفضلين

www.liilas.com

البقاء في المنزل، فاقوم أنا بتهيئة الجو المناسب؟»

«أرجوك! سأفقد صوابي إذا... أعتقد انه سيمضي ليلته هنا. لا أدري أين اجعله ينام.»

«لا تنسي انك ما زلت زوجته.»

فقالت بهمس: «لا، قطعاً لا... يمكن لجسيكا ان تشاركه غرفته وأنام أنا في غرفتها.»

«يمكنه البقاء في المنزل، لكن لا تبعدينه بسبب ما تفكرين به. فإنك ستندمين اذا ما قمت بفعلتك هذه.»

يا له من يوم حافل بالتوتر الشديد، لأن سوزي كانت تدرك تماماً، ما يقوم به غاري لم تتحدث سوزي كثيراً، خلال هذا اليوم، بل قامت بمراقبة غاري معظم الوقت. غاري الذي لم يتحدث كثيراً هو ايضاً، بل كان يسجل ويحلل ما يسمع، هذا بالاضافة إلى مساعدته جسيكا في تحميم سوتي، الأمر الذي تسبب بتبليل كليهما، وجعل ضحك جسيكا يعلو. وخلال ذلك، كانت جسيكا تخبر غاري بتفاصيل عن حياتها وحياة أمها وعن كيفية قضائهما الأيام الماضية برفقة الأصحاب الذين يعرفونهما.

«ستيف؟ من هو ستيف هذا؟»

فأجابت جسيكا: «صديقنا، انه انسان بالغ ويعيش في ايفيردا. سوتي، اثبت في مكانك!»

وضع غاري احدى يديه على رأس سوتي وسأل: «ماذا يفعل ستيف؟»

«الكثير، انه يجلب لي الدمى.»

ذهبت سوزي لاحضار منشفة لسوتي. وهي تشعر بعيني غاري تراقبانها. فهو يريد أن يقرأ ما في عينيها ليعرف

المزيد عن ستيف، وهي لم تكن تنوي ان تمكّنه من فعل ذلك.

وخلال العشاء، تمكن غاري من جعل ليز تتكلم بانطلاق وحرية، وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي تسمع فيها سوزي ليز تتكلم دون انزعاج عن زوجها وعنها، وكيف اشتريا هذا المنزل خلال شهر العسل، وكيف تبادلا الحديث حول بقائهما فيه حتى آخر العمر. كان في صوت ليز مسحة من الحزن، لكن سوزي كانت تدرك ان حزن ليز قد خف خلال السنوات القليلة الماضية، مما مكنها من الحديث عن الماضي وتذكّر الأيام الحلوة دون ان يشدها الحزن ثانية لفقدانها جون.

«عندما فقدت زوجي، كان هذا المكان مريحاً بالنسبة الي، نوعاً ما كان الأمر اسهل. ربما لفترة تخيلت ان حلمنا قد تحقق، فقد جئنا إلى هنا سوياً، وانه خارج المنزل في نزهة قصيرة.»

لم يكن تحدث الناس إلى غاري سببه الكلام الذي يقوله، ذلك لأنه في معظم الوقت يبقى صامتاً. بل كان السبب، ذلك التأثير الذي يضفيه وجوده والذي يجعل الناس يرغبون في أن يشاركهم اسرارهم وبلواهم، ذلك التأثير الذي جعل جسيكا تركض اليه وكأنه كان معها منذ ولادتها، وتتحدث اليه وكأنه صديق قديم.

لقد كان غاري يهتم لأمر الجميع، لكن سوزي تذكّرت نفسها كيف كان ينوي تركها والذهاب إلى العمل في اليوم التالي لعقد قرانهما. وقد قطعت عهداً على نفسها عندما هربت انها لن تسمح لنفسها ابداً بان تكون مهملة من قبل اي كان. لقد قطعت ذلك العهد عندما كانت فتاة صغيرة، لكنها

www.liilas.com

خلفته عندما تزوجت من غاري، فقد تركها تنتظر، غير قادرة على مباشرة حياتها لأن قلبها موجود في الجزء الآخر من العالم.

فقررت انه من الأفضل ان تبقى وحدها. ان تعيش حياتها على طريقتها الخاصة من ان تظل قابعة في مكانها بانتظار زيارة غاري لها.

عندما حان وقت نوم جسيكا، قالت لغاري: «أريد منك أن ترافقني إلى السرير.»

شعرت سوزي بالدموع تترقرق في عينيها.

نظر غاري إلى جسيكا وكأنه كان بامكانه ان يقرأ افكارها، ثم قال: «أنا ووالدتك سنفعل ذلك.»

كانت سوزي تدرك ان مرافقتها لغاري إلى غرفة جسيكا عملاً غير صائب، ان يأخذا جسيكا التي كانت ترتدي قميص نوم مرسوم عليه صورة حيوان الكنغر، إلى غرفة نومها. انحنت سوزي لتقبل جسيكا.

«هل ستكون هنا غداً؟» استغربت سوزي لأن جسيكا كانت تسأل غاري بنبرة واثقة. وراحت تقارن جسيكا بنفسها حين كانت فتاة صغيرة، وكيف ان اجوبة والدها على اسئلتها لم تكن في معظمها مؤكدة، وكيف انها كانت تخاف ان تسأله خوفاً من ان يخيب املها.

«ساعود غداً إلى إيغل.» ثم راح يداعب يدها ويلامس شعرها القصير، وأضاف: «اذا حضرت والدتك حقيبة فيها بعض اغراضها واغراضك، فانني سأمر في اليوم التالي واصطحبكما معي إلى منزلي في كندا.»

كانت جسيكا مستلقية في سريرها، لكن كلام غاري

جعلها تجلس وتسأل: «إلى الجزيرة؟ الجزيرة التي حدثتني عنها؟ لطالما اردت ان اعيش على جزيرة!»

انحنى غاري وقبل جسيكا ثم قال: «هيا.» ولم يكن امام سوزي اي خيار سوى ان تخرج من غرفة جسيكا برفقته، إلى أن وصلا إلى غرفة الجلوس. وأطلقت تنهيدة طويلة وكأنها كانت في عراك مع غاري.

فقالت بهمس: «دعنا نخرج من الكوخ!»

وهرعت خارج المنزل، وغاري وراءها. وعندما نظرت اليه رأت في عينيه عكس ما كانت تشعر به من غضب. وبعد أن وصلت إلى قمة التلة، استدارت لتواجهه.

«اتنوين القفز من فوق التلة؟»

«لا تفعل ذلك ثانية! لا تستخدم وسيلة للوصول إلي!»

مرت لحظة صمت، ثم رفع رأسه ببطء ونظر اليها ثم سألها: «ماذا فعلت بالضبط؟»

«قمت بدعوة جسيكا إلى منزلك!»

لامس شعره باحدى يديه، وسألها: «وهل من مانع لقيامي بذلك؟»

«لا أريد الذهاب إلى جزيرة توبس!» ثم فركت يديها ببنطالها القصير الذي كانت ترتديه وتابعت: «لقد ورطتني في ذلك، أنا...»

تجهم وجهه وقال: «جسيكا طفلتي وأنا أنوي أن اجعلها جزءاً من حياتي، وليس كما تقررين انت، تسمحين لي بزيارتها حين لا تكونين موجودة، ستسكن معي و...»

فصرخت قائلة: «وكيف علمت ما سأقرره أنا!» وأخذت

www.liilas.com

ترجع إلى الوراء، فاذا بيده تمتد بسرعة وتمسك بذراعها، فتقول له: «اتركني! ابعد يديك...»

«انزلي عن رأس التلة، اذن!»

«أنا لا أريد...»

وما ان نظرت إلى عينيه حتى قرأت فيهما ما يحذرها من محاولة ابعاده عنها.

«اتفضلين أن تستمري في الاختفاء خلال زيارتي لطفلتي؟» ومن طريقة سؤاله لها، أدركت سوزي انه يعرف الاجابة وانه سيربح المعركة.

«إلى متى؟ اذا كنا سنذهب إلى كندا، أريد أن أعرف كم من الوقت سنمضي هناك.»

«لنرى، لقد اتيت إلى هنا للاختباء مني، لكنه لم يعد هناك من سبب يجعلك تستمرين في الاختباء الآن، وليس هناك من ضرورة كي تبقي هنا.»

كان لون الشمس الأحمر في ساعة مغيبها ينعكس على مياه المحيط، ليصبح المنزل والكوخ في أعلى القمة مجرد ظلال بسبب حلول الظلام، قالت: «ليز بحاجة إلي، وجسيكا لديها اصدقاء هنا، وأنا لا...»

«لم تعد ليز محتاجة اليك، فقد اخبرتني انها تفكر في بيع المنزل، وجسيكا ستتمكن من مرافقة اشخاص جدد بسرعة.» وأخذ يحدق بها، فلم تستطع ان تحرر نفسها من وجوده، ها هي تقف مواجهة له، وتابع: «يمكن لك انت وجسيكا أن تعودا إلى جزيرة توبس.»

«تريدنا أن نعيش حياتنا كما يناسبك تماماً.» واذا بالخوف يتسلل إلى داخلها، سيكون من الحماقة والجنون

ان تستسلم لطلبه، لأنه سيكون يستغل حبها للسيطرة عليها. ثم تابعت: «الغي خطة حياتي القديمة وارسم لي الخطة الجديدة.» واضافت بصوت يهتز غضباً: «لماذا تعتقد انني هربت منك للمرة الأولى؟ بسبب هذا... لأنك...»

قاطعها قائلاً: «من الأفضل ان تحددي ما ترغبين به.»

راحت تلهث بسرعة وكأنها كانت تركض وقالت: «أنا لا... أنا لا أرغب بك. أنا لم أعد أحبك!»

«اعقلي، يا سوزي، لقد حان الوقت لكي تدركي ان العالم ليست مجرد خرافة!» تأملها حائراً وتابع: «انسي الحب، يا سوزي، الحقيقة ان هناك نوعاً من التفاهم، ولا يمكنك ان تنكري انه يجمع بيننا، وإلى أن تغيري ما في عقلك، أنت زوجتي، لا تنسي ذلك!»

هزت رأسها بقوة ورفعت شعرها إلى الوراء ثم قالت: «هل تذكر هذا أنت يا غاري؟ أنت تتكلم عن زواجنا، لكنك كذبت حتى عندما كنت تقسم ذلك اليمين. لقد وعدتني بالحب وأنت حتى لا تثق بالحب! انت تعلم كم مرة قمت بخيانتي وكيف...»

وإذا ببريق الحب يشع من عينيه، مما جعلها تشعر انها على وشك الاغماء. ولم تتمكن من تحويل نظرها عنه، ولكنها لم تتأكد ما في عينيه بسبب حلول الظلام.

وأدركت انه لو صمم أن يثبت لها أنها لا تزال تحبه، لكان تمكن من تحقيق ذلك. ولكن... كفى اوهاماً... كفى سوزي... انها مجرد احلام ترافقك منذ الطفولة.

وعند حلول اليوم التالي، ستوبخ نفسها لحماقة ما قامت به.

www.liilas.com

قال بحسم: «ستأتين أنت وجسيكا معي إلى كندا.»

همست: «كان هذا مجرد رغبة، وهي لا تعني شيئاً. ولن ادعها تعني شيئاً.»

قال منذراً: «سأجرك إلى المنزل اذا ما اضطررت لذلك.»

ثم اطلق ضحكة، فاذا بها ترتجف لأنه لم يأبه لما قالته.

وتابع: «سأكون مغفلاً اذا تركتك تبتعدين عني ثانية.»

حاولت التظاهر بعدم الاكتراث له واخفاء حنينها إليه وقالت: «لدي التزامات، ولا استطيع ان اسافر فجأة. هناك مجموعة من اللوحات علي انهاءها وتسليمها.»

فوضع يديه في جيبه وسألها: «كم من الوقت تحتاجين؟»

أجابت: «حتى نهاية الأسبوع.»

«سأحجز تذاكر السفر إلى كندا يوم الأحد.»

«هذا اذا لم تنشب حرب في افريقيا، او يقوم الارهابيون في الشرق الأوسط بعمل ما، أو...»

«الأحد، ولن يغير هذا أي شيء.»

«أتضمن ذلك؟»

«أضمنه.»

الفصل السابع

وبينما كانوا يتناولون طعام الفطور في صباح اليوم التالي صرخت جسيكا: «لا يمكننا أن نترك سوتي هنا!»

علقت سوزي قائلة: «ليز ستعتني به.»

فقال غاري حاسماً: «مادام سوتي ملقّح ضد داء الكلب، فبإمكاننا أن نضعه مع أمتعتنا في الشحن، ليس هناك من مشكلة في ذلك.»

وبينما كانت سوزي عند روني في المعرض لتتأكد من وجود عدد كافٍ من لوحاتها يكفي طيلة فترة غيابها، ومن ثم توجهت لإلغاء عقد كانت قدوقعته لرسم صورة مائية لسيدة مكسيكية متزوجة من رجل أوسترالي منفي، كان غاري وجسيكا يبحثان في سوق إيغل عن قفص يمكن وضع سوتي فيه.

كانت ليز تودّع سوزي وجسيكا وكأنهما لن ترجعا أبداً. دخلت سوزي إلى الطائرة يداً بيد مع غاري، وجسيكا تسير إلى جانبها بفرح شديد يشعّ من عينيها.

قالت سوزي مذكرة غاري: «سفرنا سيستمر لأسبوع فقط.»

جلست جسيكا على المقعد المحاذي للنافذة وغاري يفصل بينها وبين سوزي. ولقد أجلسهما كذلك بطريقة عفوية وكأنه تذكر ما قالته سوزي منذ سنوات خلت: (لقد سررت لزيارة والدي في باريس، لكنني في كل مرة كنت

www.liilas.com

أنظر فيها من النافذة، كنت أتساءل ما قد يحدث في حال سقوط الطائرة. لذلك، في المرة القادمة سأجلس في الجهة الأخرى.)

ولم تسافر سوزي بالطائرة منذ تلك الرحلة. فقد سافرت بالباص من إلدوفر إلى ارتويل حين هربت من غاري، ومن ثم استقلت القطار إلى إيغل. لم يكن هناك أي ضرورة لركوب الطائرة.

ولم يكن من العدل أن يذكر غاري توترها، لكنه فعل، وها هي تجلس إلى جانبه يلف خصرها حزام الأمان، مدركة أنها ستخسر معركتها معه، وأنه سيأتي الوقت الذي سيحاول فيه بجدية محاصرتها، فينتهي بها الأمر في بيته وحياته وليحصل ما يحصل. بالإضافة إلى أنها ستفقد السيطرة على نفسها، وأنها ستمضي عمرها كله بإنتظار عودته إليها. وفي يوم ما سترى عبر شاشة التلفزة النهاية التي حصلت لوالدها تحصل له، وبعدها لن تتمكن أبداً من أن تكون سوزي ثانية.

«أسبوع. عندما نصل إلى إلدوفر، سأحجز للعودة في ذلك التاريخ.» وكان غاري قد حجز تذاكر للعودة لكن بتاريخ مفتوح.

لم يعلق غاري على كلامها، وأمضت سوزي معظم الرحلة التي استغرقت ثلاث ساعات تقطع عهداً على نفسها بألاّ تبقى معه ولو ساعة واحدة بعد مرور أسبوع مهما فعل.

وبعد أن حطّت الطائرة، قال غاري: «أعطني أوراقكما.» فناولته سوزي إخراج قيدها الكندي وإخراج قيد جسيكا المكسيكي.

تولى غاري مهمة إنهاء الإجراءات الرسمية في نقاط التفتيش في المطار بثقة وإتزان، فبالإضافة إلى الأوراق التي تثبت حق جسيكا بالجنسية الكندية، قدّم عقد زواجه من سوزي ووكر المستخرج قبل سبع سنوات.

«زوجتي وابنتي.» وأخبر المفتش أنهما كانتا تعيشان خارج كندا. وتجاهل عدم موافقة المفتش على عدم استخراج اخراج قيد كندي لجسيكا، وقال: «سأتولى أمر ذلك الآن بما أنهما عادتا.» وشعرت سوزي بالسأم ذاته الذي خالجها عندما عرض غاري فكرة زيارتهما إلى كندا.

ومما هو مؤكد أنها ستهتم بإستخراج هوية كندية لجسيكا الآن... رغم أنها كانت أكيدة من أن غاري سيقوم بذلك قبل أن تستعلم هي عن كيفية استخراجها. لكن ما أزعجها هو الطريقة التي كان يتكلم بها غاري، وكأنهما قد جاءتا إلى كندا للبقاء إلى الأبد، وذلك حين قال: «إبنتي وزوجتي.» وكأنهم كانوا دائماً عائلة واحدة.

ظلّت جسيكا تتأمل غاري بإعجاب شديد، وسألته: «ماذا عن سوتي؟» فرد عليها مطمئناً أنهما ستريانه قريباً.

سألت سوزي: «وماذا عن سيارة الأجرة وسوتي؟ ذلك لأنهم يحتاجون إلى سائق صبور ليحتمل كلبهم الضخم.

«لا توجد مشكلة.» وبعد لحظات، أشار إلى سيارة ليموزين بيضاء كانت بإنتظارهم. استمرت جسيكا في الحديث دون توقف. وعندما جلسوا في السيارة، وسوتي مستلقي على أرضها سألت جسيكا: «ما نوع هذه السيارة؟»

وعندما خرجوا من السيارة، أعيد سوتي إلى قفصه استعداداً لرحلتهم في القارب إلى جزيرة إلدوفر. وكان هذا

www.liilas.com

القارب حديثاً وسريعاً على خلاف القارب الذي استقلته سوزي من قبل. أخذت جسيكا تسأل عن اسم كل شيء كانت تراه، كان غاري يجيبها بفرح عارم. وقد كانت علاقته هذه مع ابنته هي جانب آخر من الدائرة التي كانت تضيق حول عنق سوزي.

لقد قال لها انهم في زيارة إلى كندا. لكنه قال لمفتش الجوازات «زوجتي.» وكأن زواجهما دائم. ذلك لأن قضاءهما ليلة واحدة سوياً منذ سبع سنوات تحت سقف منزل لا يجعلهما زوجين. لكنها لم تنفِ هذه العلاقة في المطار أمام المفتش. ورغم أنها أقسمت أنه لدى وصولها إلى الأراضي الكندية ستحجز للعودة، الا أن غاري اصطحبها إلى خارج المطار لتصبح بعيدة عن مراكز الحجز.

فقالت لنفسها انها معتادة على التصرف بطريقة غاري، لكنها كانت عادة عليها التوقف عن اتباعها، او سينتهي بها الأمر متورطة في زيجة مع رجل أراد استردادها في المرتبة الأولى لأنها والدة طفلته. وهي تدرك تماماً أنه ينوي أن يكون والداً حقيقياً لجسيكا، لكن كيف لها أن تعيش حياتها معه فيما السبب الوحيد الذي يجمعهما الآن هو ابنتهما؟

فقررت أنها ما ان تصل إلى منزله، إلى مكان فيه هاتف، حتى تتصل بمكتب السفريات وتحجز التذاكر. ذلك لأنها ستشعر بأمان أكثر في حال وجود تاريخ محدد للعودة، كحماية ضد كل ما يخطط له غاري لمستقبلهم.

وبعد وصولهم إلى جزيرة إلدوفر، حرر سوتي من قفصه ثانية، وأدخله إلى الجزء الخلفي من سيارة مرسيدس

حديثة قاتمة اللون، ثم سأل جسيكا: «هل تمانعين في مشاركة سوتي المقعد الخلفي؟»

«لا. ليس لدي أي مانع.» ودخلت إلى السيارة بعد دخول الكلب، وفي عينيها آثار يوم سفر طويل من المكسيك إلى كندا.

قالت سوزي: «إنها بحاجة إلى قيلولة.»

قال غاري بعد أن وضع حقيبة في صندوق السيارة: «يمكنها أن تستلقي على المقعد الخلفي.»

«سيارتك فخمة.» ولامست سطح المرسيدس اللامع بيدها.

«بل مريحة. يبدو لي أنك أنت أيضاً بحاجة إلى قيلولة. دعينا نستعجل الوصول إلى الميناء كي نستقل القارب الأخير الذي سيتوجه اليوم إلى جزيرة توبس.»

وقد أثار إستياءها احساس غاري بإرهاقها الشديد رغم أنها كانت تحاول جاهدة إخفاء ذلك. وبعد أن دخل غاري إلى السيارة، رمقها بنظرة نزعت القناع الذي كانت تضعه وقال: «لمَ لا تحاولين ان ترتاحي؟ يمكنك أن تسندي رأسك على كتفي.»

فأبعدت نفسها عنه، وإذا بها تجلس عند حافة مقعدها، الأمر الذي أضحك غاري. ظلت سوزي قابعة إلى جنبه في السيارة بتشنج شديد، وبقيت كذلك حتى بعد ركوبهم القارب الذي سيقلهم إلى جزيرة توبس.

«هل تريدين الوقوف على ظهر القارب؟»

«لا.» واستدارت لتنظر إلى الجهة الأخرى، وتتذكر غاري المراهق الذي وقف إلى جانبها مرة على ظهر القارب في

www.liilas.com

جو عاصف، وكيف أنها كانت تمد يديها لتشعر برذاذ الماء حين تصطدم الأمواج بالقارب وتسأله بصوت عالٍ: «ستمسك بي إذا ما كنت على وشك الوقوع، أليس كذلك يا غاري؟»

ربما حصل ذلك قبل عشر سنوات، حين كانت تثق بالرومانسية والاحلام التي تقول انها ستكبر يوماً وتصبح أميرة جزيرة توبس وأن غاري سيتزوج منها لأنه يحبها أكثر من أي شخص آخر على وجه الأرض.

تثاءبت سوزي، فإذا بغاري يكرر قوله: «كتفي بإنتظار رأسك إذا كنت ترغبين.»

«لا، شكراً.» فهي لم تكن تنوي النوم إلا حين يصبح هناك باب غرفة موصد بينها وبينه. إذ أنها لاتزال تستطيع أن تتخيل نفسها مستيقظة عند طلوع النهار وهو لن يكون إلى جانبها. فقد قام بذلك في السابق.

وترك قلبها فارغاً ورغم قولها له «أنا أحبك» في ليلة زفافهما، الا انه لم يبادلها تلك العبارة، وقد استغرقها سنوات عدة كي تمرن نفسها على نسيان حب غاري ويليامز.

وإذا ما استسلمت الآن لحنينها إليه، فإنها ستفقد كل ما بنته في سنين. ذلك لأنها قد تستجيب لما في داخلها بجنون، وما أن يطلع الصباح حتى يرحل عنها دون أي اهتمام. ورغم قوله انها زوجته، الا أنه لا يؤمن لها أي من احتياجاتها.

كالحب مثلاً، كالعلاقة المشتركة الحقيقية بين الزوجين. وإذا كانت تعتقد أنه قد يكون الأمر مختلفاً هذه المرة، فإنه ما عليها سوى أن تراقب تصرفات غاري. فقد

طلب منها مرافقته إلى جزيرة توبس دون أن يأبه لما قد يكون لذلك من تأثير على حياتها. وبينما هي تقول ان زيارتهما ستدوم لمدة أسبوع، كان هو يقدمها للجميع على انها زوجته.

لذلك فإنها إذا ما طاوعت نفسها ورجعت إليه مرة ثانية...

سيكون من الجنون السماح بحصول ذلك. فهو الرجل الذي لا يعني الحب له شيء سوى أنه كلمة. وما كانت تشعر به حياله لم يكن حباً. فقد كانت، قبل سنوات عديدة، تمر بحالة هوس مجنون بشخصية البطل. ومن ثم جعلت ذلك يتحول إلى حب، لكنها تعرف الآن أي نوع من الحب كان.

في أثناء طريقهم إلى المنزل، لم يكن هناك من أصوات تسمع سوى صوت لهاث سوتي النائم، وصوت محرك السيارة. وما أن انعطف غاري بهدوء نحو مدخل المزرعة، حتى قالت سوزي: «هل أعدت طلاء الهيكل الخارجي للمبنى؟»

«لقد قمت بذلك العام الماضي.»

«إلى أين أنت ذاهب؟»

«لقد منحت المنزل القديم لريد الرجل الجديد الذي عينته للاهتمام بشؤون المزرعة.» وها هو يقود سيارته الآن عبر طريق لم يكن يغطيها، عندما كانت سوزي طفلة، سوى الأعشاب. وأضاف: «لطالما حلمت ببناء منزل خاص بي.»

«قرب المرفأ.» وتذكرت عندما كانا يجلسان في مرة من المرات على جذع شجرة كبير قرب الشاطىء وهو يستخدم يديه ليصف لها شكل المنزل الذي سيبنيه لنفسه في يوم من الأيام.

www.liilas.com

وظنّت أنه سيكون أكبر حجماً من حجم المنزل الذي خطط لبنائه عندما كان في السابعة عشرة من عمره، عندما أخبرها عن منزله الصيفي الذي سيبنيه على جزيرة توبس، قائلاً: «لن أسكن فيه طوال الوقت، لأنني سأكون في أماكن مختلفة من العالم بسبب عملي، لمعظم الوقت، لذلك سيكون من الحماقة أن أبني بيتاً كبيراً.»

كان المنزل الذي بناه أكثر من مريح. فقد كان مؤلفاً من طابقين، وغرفة جلوس كبيرة وواسعة تطل على المحيط، وشرفة تلف المنزل كله، بالإضافة إلى طاولة صغيرة تحيط بها بعض الكراسي موضوعة في الجزء الخلفي من المنزل، حيث تخيلته سوزي جالساً هناك محدقاً بالمناظر الطبيعية وهي جالسة على كرسي محاذ لكرسيه.

خرجت من السيارة مسرعة لحظة توقفها.

«أدخلي إلى المنزل، وسأحضر أنا جسيكا والحقائب.»

«الباب مقفل.»

«لا، ليس هنا.» فأدركت كم كانت الفترة التي ابتعدت فيها عن هذا المكان طويلة، هذا المكان الذي حلمت بقضاء حياتها فيه، ذلك لأنه ليس هناك من حاجة لاقفال الأبواب في هذه الجزيرة الصغيرة والمجتمع الضيق، حيث ترعرعت.

ركض سوتي أمامها فإذا بها تتوقف لتراقبه، وإحدى يديها ممدودة وكأنها تريد الامساك به، وسألت: «ألا يجدر بنا ربطه؟»

«لا تقلقي، سيكون بخير. هيا، سأنتظرك.»

ثم انحنى إلى المقعد الخلفي ليحمل جسيكا التي غمغمت

وتلوّت ثم عادت إلى سباتها العميق حين انتصب غاري واقفاً وهي بين ذراعيه. وشعرت سوزي لرؤيتها ذلك بانقباض في صدرها.

تبعت غاري بهدوء حين تسلق الدرجات الثلاث المؤدية إلى الشرفة، وتجاوزته وفتحت الباب.

وعندما دخلت إلى المنزل، رأت سوزي الجدران مكسوة بالخشب الطبيعي، وكذلك الأرض، التي كان يغطي سطحها الخشبي قطع من السجاد الصغير. توجه غاري إلى الطابق العلوي مباشرة وجسيكا لاتزال نائمة بين ذراعيه، وسوتي يحوم بين رجليه.

«سوتي...»

«إنه بخير، يا سوزي. إهدأي.»

آخر ما يمكن أن تقوم بفعله هو أن تهدأ. جالت سوزي في أنحاء المنزل، وهي لاتزال تسمع وقع اقدام غاري في الطابق العلوي. كانت غرفة الجلوس دافئة، والمطبخ كبير، تضيئه أنوار تتسلل عبر الأبواب الزجاجية. وفي إحدى زواياه تقع طاولة الطعام الزجاجية محاطة بكراسٍ مصنوعة من القش، ولوحة اعلانات علق عليها غاري بعض الملاحظات المدونة، مثل: «وليام: السابع والعشرين من الشهر الحالي، برلين.»

«الاتصال بجاك، بخصوص تايوان.»

«جورج... الأول من شهر حزيران (يونيو).»

هذا المنزل المخبأ لم يكن يخبىء غاري الحقيقي، لأن غاري الحقيقي يتمثل بما هو معلق على تلك اللوحة، برلين... تايوان... فرجينيا. لأن غاري قد ذكر آنفاً أن اسم

مدير محطة البث في فرجينيا هو جورج. فهي قد تنظر إلى هذا المنزل على أنه كذلك، لكن إذا نظر غاري إليه فإنه سيراه يتمثل بلوحة الحائط المعلقة على أحد جدران المطبخ. فهي تعرفه جيداً، لأنه لا يستطيع أبداً العيش في مكان واحد أو يمنح قلبه إلى أي شيء قد يقيده، السبب الذي جعله لا يغرم بها، لأنه يرى الحب على أنه قيد.

وبعد تأمل طويل لتلك اللوحة، توجهت نحو الجزء الخلفي من المنزل. فرأت غرفة مصممة لتكون غرفة عائلية، لكن كان جلياً أنها لم تستخدم كثيراً. ومن ثم باب مغلق. وما أن فتحته حتى شعرت بنفسها تنتقل من الحياة البسيطة إلى العالم الحديث: جهاز حاسوب الكتروني، جهاز فاكس، جهاز تلفزة، وجهاز فيديو. هذا بالإضافة إلى الكتب التي تصل إلى حد السقف، فأخذت تقرأ عناوين هذه الكتب إلى أن وصلت إلى رف تعلوه مجموعة ضخمة من أشرطة تسجيل الفيديو. لم تكن أفلاماً ترفيهية، بالطبع، بل كانت أفلاماً وثائقية وأشرطة أخبار مسجلة. فساورها شعور أنها قد تغلق هذا الباب وتنسى ما يوجد من أشجار في الخارج، إضافة إلى المحيط.

كانت هذه الغرفة بالإضافة إلى لوحة الإعلانات تمثلان غاري الحقيقي. أما بقية المنزل فتمثل حياة شخص عادي، قد تحلم أن تتقرب منه في غرفة الجلوس مثلاً، لكن في هذه الغرفة لن تتمكن من فعل ذلك.

أو هناك حيث كان يوجد الهاتف. ورغم الإثارة الملتهبة في عينيه ونبض قلبه الشديد حين يجذبها إليه، الا أن رنين جرس الهاتف قد تؤدي إلى إبعادها عنه. من حسن حظها

أنها لم تعرّف عن نفسها خلال السنوات الماضية على أنها السيدة ويليامز، بل احتفظت باسم عائلتها لأن ذلك سيوفر عليها متاعب كثيرة عندما يتم الطلاق.

سوزي ويليامز. قبل عدة سنوات عندما قال لها غاري انه من الأفضل أن يتزوجا، كانت على درجة من الحماقة جعلتها تكرر هذا الاسم مراراً ومراراً على ورقة بيضاء. وكأن كتابة اسمها ممزوجاً باسمه يضمن الحب. حتى حينئذٍ، كان عليها أن تدرك أن زواجها بغاري ويليامز هو حلم زائف.

غير أن غاري يريد طفلته، لكنه لم ينتزعها بقسوة من أحضان والدتها، بل فكر بطريقة أفضل. لقد نوى أن يحافظ على زواجه منها، وخلال زيارتها القصيرة، على حد قول سوزي، سيطلب منها أن تقيم معه نهائياً، وأن تمنحه فرصة ليكوّن عائلة لطالما حلم بها.

وفي حال موافقتها، فإنها ستشاركه حينئذ غرفته وجسيكا. لكن لن يكون شعوره نحوها يختلف عن شعوره حيال نساء أخريات، مجرد رغبة، وقد أعلن ذلك بوضوح تام. ليس هناك أي إحساس مميز، أي احساس استثنائي.

وعندما كانا في ايفيردا، سألته عن عدد النساء اللواتي عرفهن، لكنه لم يجب على سؤالها هذا.

سمعت وقع أقدامه حين كان ينزل من الطابق العلوي، سمعته يتجول بين الغرف إلى أن وجدها. فاستدارت نحوه ببطء، وللحظات قليلة لاحظت على وجهه علامات الاستياء التي ما لبثت ان اختفت بعد ذلك. هل كانت ستفهمه يوماً؟

لا. ليس إلا إذا هو أراد ذلك.

www.liilas.com

مدّت أصابع يديها ثم أطبقتهم ثانية حين رأته ينظر إلى حركتها المرتبكة. وسألته: «هل جسيكا نائمة؟»

«أجل. اصعدي إلى غرفتك ونامي قليلاً. غرفتك هي الأولى إلى جهة اليمين في الطابق العلوي.»

كان من الجنون أن تفكر بأي شيء سوى الطلاق. لأنها الطريقة الوحيدة التي ستتمكن بها من التعامل مع غاري ويليامز. الانفصال، الطلاق نهائياً وإلى الأبد. فتوجهت نحو مكتبه الكبير، حيث يوجد إلى جانبه رف عليه أكثر من دليل للهاتف لأماكن متعددة: إلدوفر، تورونتو، فرجينيا، وهناك دليل صغير لجزيرة توبس. فسحبت الدليل الذي يحتوي على أرقام هواتف في إلدوفر، ولم يستغرقها الأمر اكثر من دقيقة لتجد الرقم الذي تريده.

كان هناك هاتف موضوع على مكتبه، فاستخدمته لطلب الرقم، وهي تحدق بغاري الذي كان يقف مسافة خمسة أقدام بعيداً عنها. وبعد أن قامت بحجز تذكرتي العودة لها ولجسيكا، ووضعت السماعة على الجهاز، قال لها غاري: «يمكن للحجز أن يلغى.»

في تلك الليلة، استيقظت في الظلام وهي تسمع تلك الكلمات تتردد في أذنيها (يمكن للحجز أن يلغى.) فإذا بها ترتجف بالرغم من نسيم الربيع الدافىء الذي كان يدخل إلى غرفتها عبر النافذة. وتتذكر نظرات غاري وكلماته التي كانت تعني أكثر من معناها الحرفي. وأنه سيسيّر حياتها بطريقته الخاصة... سيلغي الخطط التي رسمتها لحياتها... يلغي مستقبلها ويشكله بما يتناسب ورغباته.

وفي صباح اليوم التالي عندما استيقظت، لم تجد

جسيكا في غرفتها، ورأت سريرها موضباً بطريقة هوجاء. وقد كان هناك بابان مغلقان إلى جانب باب غرفتها في الطابق العلوي، ولم تكن تعلم أيهما يخص غرفة غاري. وبالطبع لم تكن تنوي أن تحاول فتحهما اعتباطياً. ذلك لأن آخر ما كانت تريده أن يحصل هو أن تجد نفسها في غرفته.

سمعت أصواتاً تأتي من الطابق السفلي، فتوجهت نحوها. فإذا بها تجده في المطبخ، يطهو البيض مع اللحم على نار فرن الغاز الحديث وجسيكا تحمّص الخبز.

قالت لها جسيكا بتفاخر وهي تشير إلى كومة صغيرة من الخبز مغمسة بالزبدة موضوعة في صحن كبير: «إنني أدهنها بالزبدة أيضاً.» ورأت سوزي ابتسامة خفيفة ترتسم على وجه غاري.

فردّت سوزي: «غاري يحب الخبز المحمص، خاصة إذا كان مغمساً بالزبدة.»

فأطلق غاري ضحكة عالية. وبعد أن سمع أحدهم يقرع على الباب، صرخ قائلاً: «تفضل.»

وإذا بسيدة في منتصف العمر تدخل إلى المطبخ، سيدة لم ترها سوزي من قبل قط.

«إيفا فارنر. هي وزوجها غريغ استأجرا مني أرض المزرعة خلال السنوات القليلة الماضية. إيفا، أود أن أعرفك إلى زوجتي سوزي، وجسيكا إبنتي.»

ماذا بإمكان سوزي أن تقول؟ انها سترحل الأسبوع المقبل؟ فاقتربت منها إيفا وحضنتها بشوق، ثم بدأت تخبر جسيكا عن أحفادها الذين يأتون لزيارتها خلال فصل الصيف ويتحرّقون لوجود من هو في مثل سنهم للهو معهم.

www.liilas.com

وسألت سوزي: «أتودين مني توليّ مهمة تحضير وجبات الطعام لكم؟ فكرة حسنة، أليس كذلك؟»

أسرع غاري يجيبها قبل ان تتكلم سوزي: «أجل، أرجوك. فقد وعدت سوزي بإجازة مريحة. وزوجتي هي رسامة ماهرة أكثر منها طاهية.» ثم ابتسم وكأنها دعابة بين رجل وزوجته.

تمنت سوزي لو أنها تستطيع ان ترمي شيئاً في وجهه، لكن إيفا وجسيكا واقفتان. لا بد وأن إيفا قد تساءلت أي نوع من الزواج قد يكون هذا. ولا بد لها أيضاً وأن تكون قد سمعت شائعات. فالجميع في جزيرة توبس يعلم أن غاري قد اصطحب سوزي معه إلى هنا قبل سبع سنوات على أنها زوجته. ولا بد أنهم يعلمون أيضاً بإختفائها في اليوم التالي.

قالت إيفا: «إذاً، سأذهب إلى الأرض لاحقاً. بما أن الصغيرة قد انتهت من تناول فطورها، لمَ لا تخرج إلى المزرعة وتلعب مع أحفادي؟ او عساي أرسل في طلبهم إلى هنا؟»

وفي النهاية، جاءوا أحفادها إلى بيت غاري، توأمان في السابعة من العمر واسمهما سام وجيم. اصطحبا جسيكا إلى الجزء الخلفي من المنزل حيث يقولان ان هناك أرجوحة وبيت صغير رائع مخصص للعب.

قال مطمئناً سوزي وكأنه أحس بقلقها: «سيكونون بخير.»

«حسناً.» وبعد أن أصبح الأولاد عند أعلى التلة، كان بإستطاعتهما أن يسمعا صدى صوت جسيكا ونباح سوتي.

بدأت سوزي بتوضيب الطاولة.

فقال غاري: «إيفا ستهتم بذلك لاحقاً.»

لكنها تجاهلته وراحت تجمع الشوك والسكاكين وتضعها فوق الصحون، ثم سألته: «ماذا عن الخبز المحمص؟»

«إرميها في سلة المهملات.»

فابتسمت بإمتعاض وقالت: «قبل عشرين عاماً من الآن، كنا ننزعج حين نكون مضطرين لرمي شيء ما. أما الآن فلا انزعاج البتة في فعل ذلك.» لكن غاري لم يعلق على كلامها. فوضعت الصحن فوق الصحون الأخرى بعصبية، فقد كانت تلاحظ أنه يراقبها. نادته: «غاري.»

ظل صامتاً. ولم يتحرك، وكأنه بإنتظار شيء ما.

«أنت تجعل الجميع يعتقد بأننا متزوجان.» ولم تستطع سوزي أن تحزر ما كان يفكر به، لكن عندما اتسعت عيناه، أدركت أن ما كان يجول في خاطره هو أخطر بكثير مما كانت تراه على وجهه.

«نحن متزوجان فعلاً. أم أنك نسيت القسم الذي أقسمته لي يوم عقد قراننا قبل سبع سنوات؟»

«وأنت أقسمت القسم ذاته، أيضاً. لقد قلت كلمات لا يمكنني أن أصدق أنك عنيتها. أنت...» ابتلعت ريقها وقالت بهمس: «لقد سلبتني حياتي عندما تزوجت مني!»

«أنت تتكلمين وكأنني أجبرتك على الزواج مني.» ثم رفع رأسه، فشعرت بالخطر يلوح في الأفق.

فاحمر وجهها، حين عادت إلى ذاكرتها صور من أحلامها القديمة وقالت: «نحن لسنا زوج وزوجة. ليس

www.liilas.com

الآن. منذ سبع سنوات ونحن... من طريقة كلامك، ظن الجميع مفتش المطار، إيفا و... وجسيكا! أنت تجعلها تتأمل بأمور كثيرة، وأنا لا أريدها أن تتأذى.»

فاقترب منها، بينما اخذت هي بالتراجع. قال: «أي أمور؟ أن والدها سيكون جزءاً من حياتها؟ أنا أنوي أن أكون كذلك. ولن أسمح لأي من أطفالي أن يكبر دون أن يعرف والده.»

ماذا تعرف عن والده؟ العمة جاكي لم تأت على ذكر اسمه أبداً. لم تعرض صوره، ولم تتحدث عنه.

«نحن نتكلم عن جسيكا.»

لم تكن تعرف حقيقة ما سيكون عليه الأمر، لكن معايشتها للعمة سوزي طيلة كل تلك السنوات، لم تسمع أحداً يتكلم عن والديّ غاري أبداً. كانت تريد أن تعترض، لكنه لم يكن ينوي أن يجيب على اسئلتها. كان ذلك جزء من الحقيقة.

«غاري، لا يمكننا أن نتظاهر بأننا عائلة. أعلم أنه علينا أن نقوم ببعض الترتيبات بخصوص زيارتك لجسيكا و...»

«ستبقين هنا. هذا الأمر هو الأكثر منطقية.»

هزّت رأسها بتوتر.

«هذا الرجل الذي تعرفينه في المكسيك، ستيف، هل هو حبيبك؟»

همست قائلة: «لا.» كان من الحماقة أن تتظاهر بحبها لرجل آخر لأنها لا تريد أن تفقده ثانية، هي تتمنى ان يبوح لها بحبه كي تبقى معه بقية عمرها.

«لطالما أحببت هذا المكان. لم يتغير.» وأشار إلى المحيط الذي كان يظهر عبر الأبواب الزجاجية.

«أنا تغيّرت. لقد اعتدت على أن أكون حرة، ولن أتمكن من العيش في قفص مرة ثانية.»

قال: «أهكذا تنظرين إلى الأمر؟»

فتراجعت، وشعرت بالخوف لكنها لم تستطع أن تحدّد بوضوح الأمر الذي يثير خوفها. فقد التزم الصمت، وراح يراقبها، وعلى الأرجح راح يحلل كلماتها وتعابير وجهها في عقله، ليحصل على إجابة تمكنه من فرض ما يريده عليها.

لن يستسلم.

فسألته بيأس: «كم سيمّر من الوقت قبل أن يرن جرس الهاتف؟» وقالت في نفسها انه من الأفضل لها أن تخرج من هذه الغرفة، من المنزل، لأن الجو المسيطر عليهما قد يجعلها تقول ما لا ترغب فعلاً بقوله. أضافت: «لقد مضى على غيابك عنه عدة أيام، أكثر من أسبوع. إذاً، إلى متى سيدوم ذلك، يا غاري؟»

«بعيداً عن ماذا؟» بدا صوته هادئاً لكن منذراً.

«بعيداً عن كل شيء... عالمك.» شعرت وكأنها أحد المواضيع التي يثيرها في تحقيقاته، أنه كان يستدرجها للوقوع في الشرك. ثم أومأت بيديها بحركة عصبية وقالت: «ماذا سيكون الأمر هذه المرة، يا غاري؟ أزمة أخرى في افريقيا؟ وإذا ما بقيت هنا، كم سيستغرقك كي تتذكر أن لك زوجة؟»

ثم ضحكت وبدا وجهه أكثر تجهماً، وظل ملازماً صمته، بإنتظار أن تقول المزيد.

«أتراهن على الفترة التي ستمكث فيها هنا هذه المرة؟ لن

www.liilas.com

يستغرق الأمر فترة طويلة. طلق نار في افريقيا. اشاعة في اوروبا. أنت تتكلم وكأنك ستظل هنا، لكنك لست كذلك. أنت تريد أن تحتجزنا هنا حتى نكون في متناول يدك حين يدعوك الحنين. لكنك سترحل ما ان يرن جرس الهاتف، ونظل نحن هنا مثل السمك في حوض زجاجي أو...»

وكانت على وشك أن تتابع كلامها، لكنها لم تفعل لأنها بعد تأملها لوجهه المتجهم، قالت بنبرة عصبية: «ألن ترد عليّ؟»

فرد بهدوء: «لن يكون هناك أي مكالمات هاتفية بعد الآن. أنا في إجازة مفتوحة لحين انتهائي من تأليف كتابي.»

«كتاب؟» وتذكرت غرفة المكتب خاصته، وأشرطة التسجيل، جهاز الفاكس، والحاسوب الالكتروني. ثم سألت: «أي نوع من الكتب ستكتبه هنا؟»

«كتاب عن نشرات أخبار التليفزيون. أجل، سأكتبه هنا.»

«هل بدأت به؟» وشعرت أنها جعلت من نفسها حمقاء. ولم تكن واثقة من سبب ذلك، بإستثناء أنها كانت تصرخ وغاري ملتزم بصمت وهدوء أعصاب تامين.

«أجل. لكن هناك بعض الأشخاص لن يعجبهم الكتاب.»

صدّقت سوزي ذلك. فلطالما كان باستطاعة غاري أن يكشف حقيقة الأمور بحذق شديد. إنها موهبة أدّت إلى شهرته، وقد تكون هي السبب الذي انقذه من تجارب صعبة كانت لتقتل أشخاصاً آخرين.

«اعتذر لأنني صرخت في وجهك. أنا فقط... أنا أحياناً أشعر وكأنك لا تسمعني.»

«قد لا يعجبني ما تقولينه، لكنني أسمعك، يا سوزي. وعلى الأقل عندما تصرخين أعلم أنك تعبّرين عن حقيقة ما تشعرين، وليس ما يدل عليه مظهرك.»

«لا أستطيع أن أفعل ذلك، يا غاري. أسبوع كامل. أنا... قد أقتلك.»

فابتسم وقال: «سأحاول ألا أجعل من ذلك ضرورة. لمَ لا نحاول أن نسوّي الأمر؟ امنحي بعضنا فرصة لمدة أسبوع، وبعد ذلك إذا وجدت أنه لاتزال هناك ضرورة لقتلي، إفعلي.»

«لكن...»

«سأكون في مكتبي.» واستدار فجأة وقال: «إفعلي ما شئت. أراك عند الغداء.»

ثم سمعت صوت باب مكتبه يغلق.

إذا ما لحقت به إلى مكتبه، فإنها ستجده غارقاً في تفاصيل الكتاب الذي يكتبه. وقالت في نفسها مستحيل أن تمنح نفسها وإياه فرصة ثانية.

ذلك لأن أسبوع من الاستقرار لن يكون لصالحها، ولأن عدوانيتها هي التي جعلتها بمأمن حتى الآن، ومن دونها، سينتصر عليها غاري في غضون دقيقة واحدة، وهي لن تسمح لنفسها أن تجعله يقنعها برغبته في بقائها هنا. ذلك لأنه سيرحل حالما ينتهي من تأليف كتابه. وكانت لتتحمل ذلك لو أنه كان يحبها، لو كان يتحرق شوقاً للرجوع إليها بينما هو في الطرف الآخر من العالم... يتوق لأن ينهي فراقهما.

عليها أن تبقى هذا الأسبوع، وترحل بعيداً عنه. لن يكون

www.liilas.com

ذلك أمراً سهلاً. فهي تدرك قوة تأثيره عليها، وهو يدرك ذلك أيضاً، لكنه لم يبد أن لديه أي مشكلة في السيطرة على آرلين حين يريد. انها المشاعر نفسها الذي شعر بها حيال آرلين قبل سنوات عدة. فهي لم تكن تعني له أكثر مما عنته له آرلين... أو شيرلي.

لكن يوماً ما قد يغرم بإمرأة. وترقرقت الدموع في عينيها عندما أجبرت نفسها على مواجهة تلك الحقيقة. سواء اعترف بذلك أم لا، غاري هو رجل الأحاسيس القوية، الأحاسيس لتعرف الحقيقة، الأحاسيس لكشفها! سيزخم كتابه بالأحاسيس المكبوتة، ويوماً ما سيحب امرأة بالزخم ذاته. وستدرك سوزي هذا فعلياً إذا ما رأت غاري يغرم بإمرأة أخرى.

الفصل الثامن

توجهت سوزي نحو التلة لتتفقد جسيكا أثناء انهماك غاري في عمله، فوجدت الأطفال الثلاثة يلعبون بمجموعة من الدمى والألعاب وسوتي مستلقي عند المدخل.

قالت جسيكا: «انه يحرسنا.»

أضاف سام: «من اللصوص.»

فقالت سوزي: «فكرة صائبة.»

قالت جسيكا: «هذان الولدان لديهما الكثير من الألعاب.»

فعلقت سوزي: «يمكنني أن أرى ذلك، تمتعوا بوقتكم.»

من الواضح ان جسيكا كانت تستمتع بوقتها وليست بحاجة إلى وجود والدتها. فعادت سوزي سالكة طريقاً فرعياً لا يمكّن الناس من رؤيتها من نوافذ المنازل حتى لا يدعونها لتناول فنجان من القهوة معهم والتحدث قليلاً. يمكن الا تكون إيفا قد سألت غاري عن الموضوع كما هو الحال مع معظم الناس. لكنها قد لا تتردد عن سؤالها اذا ما رأتها بمفردها.

أخذت تتمشى قرب المحيط، ولا بد أن يكون هذا اليوم هو واحد من ايام فصل الربيع الذي يصل فيه علو الموج إلى الذروة، لدرجة أن الأمواج كانت تضرب أغصان الأشجار المجاورة. فوقفت وراقبت المشهد لفترة وجيزة، محاولة ان ترى الموجة حين ترتد إلى المحيط، كالعادة، كانت بطيئة الملاحظة لتلاحظ التغيير الحاصل. وفي هذا المكان،

قبل سنوات عديدة ماضية، خسرت سوزي العديد من الرهانات مع غاري حين كانت تخبره أن الموجة لن تعلو وهو يعارضها الرأي، وما أن تمر لحظات حتى يثبت صحة قوله. فلطالما كانت تخدع بحركة الأمواج، بينما كان هو في معظم الأوقات صاحب التوقعات الصائبة فيما يخص حركة الأمواج، بالاضافة إلى توقعاته الصائبة في الحياة.

قصة حياتها، وارتكابها أخطاء عدة لعدم قدرتها على رؤية الحقيقة كزواجها من غاري، غير ان زواجها لم يكن غلطة لسبب واحد فقط وهو انها لو لم تتزوج منه، لما كانت أنجبت جسيكا، فهي لا تستطيع أن تتخيل حياتها من دون جسيكا.

ثم عادت إلى منزل غاري لتحضر عدة رسمها، وعندما رجعت إلى الشاطىء، كانت حركة الموج قد هدأت بنسبة ملحوظة. لكنها بدأت ترسم، وتاهت بين اللوحة والمشهد إلى أن سمعت صوت غاري يناديها لتناول الغداء. كانت تائهة بسبب انعكاس اشعة الشمس على ماء المحيط البلورية... ونمو العشب الطويل على الأجسام المحاذية للشاطىء حيث ترتطم الأمواج... وصواري القوارب تدفع بها في اتجاهات عشوائية بسبب تموج مياه المحيط.

أحضرت إيفا طبقاً كبيراً من السندويتشات ووعاء من حساء الخضار، وجاءت جسيكا معها. قالت إيفا: «ستتناولون فطيرة باللحمة والبطاطا على العشاء. هذا في حال كنتم تحبونها.»

سألت جسيكا: «هل تشبه هذه الفطيرة فطيرة التفاح؟»

ضحك غاري، وشعرت سوزي بنفسها تضحك بينما

كانت تشرح لجسيكا الفرق بين هذين النوعين من الفطائر.

ثم قالت سوزي مؤكدة لجسيكا: «لكنك ستحبينها.» إلى حد ما، بعثت ابتسامة غاري الطمأنينة إلى قلب سوزي عوضاً عن الخوف. وبعد الانتهاء من تناول الغداء، عاد غاري إلى مكتبه، وانضمت جسيكا إلى التوأمين، أما سوزي فقد استأنفت رسم لوحتها.

كانت الأيام تمر ببطء، وكان غاري يمضي معظم اوقاته وهو يعمل في مكتبه، لكنه في بعض الأحيان يستلقي على احدى الأرائك بينما كان يقرأ بعض المراجع. وفي اليوم التالي، رسمت سوزي غاري عابساً خلال قراءته احدى الأوراق، وسوتي مستلقياً قرب قدميه، واشعة شمس الأصيل تنعكس على كل شيء بروعة مدهشة. ثم نظرت إلى اللوحة وتمنت ألا يضايقها النظر إليها عندما ينتهي كل شيء وتعود إلى المكسيك.

بقي خمسة أيام حتى يحين موعد عودتها وابنتها إلى المكسيك.

بعد ظهر اليوم التالي، عند بداية مغيب الشمس، اقترح غاري ان يتوجهوا إلى الشاطىء ليتمتعوا بدفء المياه في مثل هذا الوقت. حمل جسيكا على كتفيه، التي صرخت من شدة اثارتها وهو يمشي في الماء إلى ان غمرت كتفيه. وفيما كانت جسيكا تمسك بشعره وهي لا تزال على كتفيه، نادى غاري على سوزي، التي كانت قد التقطت للتو صورة لكليهما، ثم سألها:

«ماذا عنك، يا سوزي؟ اترغبين في الانضمام إلينا؟»

«مستحيل!» ثم عادت إلى الشاطىء لترجع الكاميرا إلى مكانها.

www.liilas.com

ثم عادت وغطست في الماء نحو الرمث ولم تستطع ان تمنع عقلها من استعادة صور من الماضي. حيث كانت تلعب هي وغاري على الشاطىء، لا... لن تنضم إليهما، لأنها ستشعر بالحنين يشدها إليه ويخنق فيها أية مقاومة.

كفى! يجب ان يتوقف كل هذا!

فاذا بها تسبح وتسبح إلى أن انهكت قواها، لكنها عندما استلقت في سريرها تلك الليلة، حلمت بما تخيلته.

في اليوم التالي، سألته سوزي: «أيمكنني قراءة ما كتبته؟»

كان يجلس على الأريكة محاطاً بالأوراق، فرفع رأسه وحدق بها وكأنها ظهرت له من كوكب آخر.

«انسي الموضوع.» ووقفت بسرعة لدرجة انها شعرت بدوار. فقد كانت تجلس على اريكة محاذية للأريكة حيث كان يجلس، وهي تتساءل، الشمس... يوم حار آخر قرب الشاطىء... صوت ضحكة يسمع من أعلى التلة... صوت البقرة من المزرعة المجاورة... وغاري يعبس خلال تدقيقه في احدى الأوراق.

وفيما هو يقرأ الأوراق التي كانت امامها، سألها: «ما يكون موقفك إذا ما طلب احدهم الاطلاع عن عملك الذي لم تنتهِ منه بعد؟»

«دفاعي.»

«أحسنت. لن استطيع أن أجازف به.»

إن ذلك هراء، وكلاهما يدرك ذلك. فسألته: «ما لا تستطيع المجازفة به هو الحميمية.»

«كيف عرفت ذلك؟»

«أنت بارع في طرح الأسئلة، لكنك فاشل في الاجابة عليها.» ثم عضت على شفتها لأن هكذا نوع من الحديث قد يشعل النار ثانية بينها وبينه، وتابعت: «يبدو لي انك قد تجازف بحياتك قبل ان تجازف بالسماح لي بالاطلاع على ما تفكر به.»

«إذا كنت تريدين أجوبة، يجب أن يكون لديك الجرأة لتسألي الأسئلة بصوت عالٍ.» ورفع رزمة الأوراق التي كان يحملها وأضاف: «انها ليست قصة حياتي. الأجوبة الموجودة هنا تخص فقط نشرات اخبار التلفزيون.»

وفي مساء اليوم التالي سألها غاري: «ما رأيك لو نتمشى قليلاً؟»

ذلك بعد ان أوت جسيكا إلى فراشها. فقد شارك ثلاثتهم في حفلة شواء في مركز البلدة الاجتماعي، ونامت جسيكا على المقعد الخلفي للسيارة في طريق عودتهم إلى المنزل. لكنها اصرت بعد استيقاظها ان يقرأ لها قصة وهي في سريرها، رغم انه قد فات على موعد نومها وقت طويل.

قرأ لها غاري قصة من كتاب كانت سوزي قد قرأت قصصه في طفولتها. وغرقت جسيكا في سبات عميق قبل ان ينتهي غاري من قراءة الصفحة الثالثة. كانت سوزي تقف قرب النافذة، تتأمل مياه المحيط وصورة القمر تتلألأ على صفحته، وتستمع إلى صوت غاري، الذي حين توقف عن القراءة، استدارت سوزي ونظرت اليه لتراه يضع الكتاب على المنضدة المجاورة للسرير.

قالت سوزي: «لقد غرقت في النوم منذ بعض الوقت.»

فعلق وهو يبتسم: «أعلم ذلك، لكنني أحب أن أراقبها.

www.liilas.com

اضف إلى ذلك، انني عندما توقفت عن القراءة امس، فتحت عيناها وقالت انني اغشها، فقد كان من المفروض ان اقرأ القصة بكاملها. دعينا نتمشى. علينا أن نتحدث.»

بخصوص ماذا؟ بخصوص جسيكا؟ او بخصوص الكارثة التي بدأت حين تبادلا القسم يوم زواجهما في إلدوفر؟ لم تسأله، مما يثبت أنه على حق، لأنه لم يكن لديها الشجاعة لتسأل، رغم انها بحاجة إلى الأجوبة.

تبعته إلى خارج الغرفة وإلى الطابق السفلي، ثم إلى الخارج حيث كان العالم متشحاً بسواد ظلمة الليل وبياض ضوء القمر. توقف غاري عند عتبة المنزل، واحدى يديه على باب البيت المفتوح، مما جعلها تشعر حياله بحب كبير، ذلك الحب الذي لن تستطيع مقاومته طويلاً.

«عليك ان تحضري سترة، فالطقس بارد.»

«لا.» فقد كانت لا تزال مرتدية الثياب التي حضرت بها حفلة الشواء... سروال أسود وبلوزة بيضاء.

«الطقس ليس دافئاً إلى هذه الدرجة.»

«لا عليك، سأكون بخير.»

تجاوزته ونزلت الدرج ويديها إلى جنبيها، وكان باستطاعتها ان تسمع وقع اقدامه وهو يسير خلفها تماماً.

«أنت تشعرين بالبرد.»

أسرعت في خطواتها أكثر وقالت: «لا.» لكنها كانت ترتجف الآن، وهذا بسبب حماقتها، أن تسير مرتدية سروالاً وبلوزة في ظل ضوء القمر. ولم تعرف السبب الحقيقي الذي جعلها ترفض ان تتوجه إلى غرفتها وتحضر سترة. ربما لأنه هو اقترح ذلك.

«سوزي؟»

فتوقفت فجأة، وهي تواجه مياه المحيط البلورية والقمر يتوسط السماء امامها. ليس هناك رياح، هناك فقط الضوء الأبيض الخافت.

«توقفي عن الهرب يا سوزي.»

شعرت بحاجة ماسة إلى الهواء، لنبضة من قلبها، ذلك لأنها في السابعة والعشرين من عمرها، وكل شيء مهيأ لتقع في الحيرة بين استجابتها لرغبتها او لخوفها هو صوت رجل. فرفعت رأسها ليصبح نظرها موجه إلى القمر مباشرة، وسألته: «لم تخالني أهرب، يا غاري؟ لم يتبقَ سوى يومين.» ثم اضافت بهدوء: «انني أتوق لليوم الذي اعود به إلى المكسيك.» أعلم أنه ليس من اللائق ان اتفوه بمثل هذا الكلام.» كان توترها يزداد، فهي تتكلم ليرد عليها بصمته، وخائفة من أن تستدير وتنظر اليه، لأنها اذا ما فعلت ذلك، فان تعابير وجهه ستكون واضحة، وماذا يمكن لها ان ترى فيه؟

«أتحاولين اخباري انك تتوقين لشيء ما هناك؟»

«أجل، بالطبع. حياتي الخاصة، أريد أن أعود إلى عملي. لرسم مجموعة جديدة من اللوحات.»

«أعتقد أن المكان هنا يشبه اللوحة.»

لقد فكرت بذلك هي نفسها، ان ترسم مجموعة من اللوحات تصور جزيرة توبس. لكنها لم تكن واثقة انها ستتمكن من بيعها للسواح في إيغل وايفيردا وانسينادا. لذلك فانه قد يكون عليها بيع المجموعة هنا، في جزيرة توبس.

«ليس هناك من سبب يضطرك للعودة.» انه يتكلم بصوت المنطق، يستميلها. كم مرة قام غاري بهذا؟ لقد كان قلبها ينبض بقوة في صدرها، فشعرت إلى أي درجة هي ضعيفة.

قالت بيأس: «ستيف، أنا أفتقده.» فقد كانت ترتجف لأنها غير واثقة من نفسها، ماذا لو استجابت لرومانسية المكان؟

«فجأة، أليس كذلك؟ عاطفتك تجاه اليكس؟»

فارتعشت واقتربت من الماء، وكان الجو بارداً. فقد كان هذا اليوم هو أحد اوائل أيام فصل الصيف، ودون دفء الشمس، ستتجمد اذا ما غطست في مياه المحيط امامها.

«ماذا تفعلين؟»

«سأسبح قليلاً.»

«المياه باردة جداً، يا سوزي...»

تمتم بعض الكلمات واعتقدت انه سيأتي وراءها، وأن يده ستمتد وتبعدها عن الماء. هل كان ذلك صوت المياه او صوت الرجل، او صوت يشبه ضحكة اطلقتها هي. ولم تستطع ان تحدد حقيقة هذا الصوت، لكنه تحول إلى شهقة عندما خلعت صندلها وتسللت برودة الماء إلى رجليها.

«إنها منعشة.»

ثم غطست، وإذا بحرارة جسدها تختفي ما ان غمرتها مياه المحيط. فاستدارت ووقفت وارتفاع الماء يصل إلى خاصرتيها، وتوجهت ببطء نحو غاري.

كان غاري يقف قرب الشاطىء، ونفاد الصبر باد عليه، فارتجفت واقتربت منه خطوة واحدة فقط، وتنهدت.

«أخرجي من الماء. ستتجمدين.»

فضحكت مرة ثانية، وقالت: «هل أنت خائف من اللحاق بي؟» لكنه لم يرد عليها، فسارت خطوة اخرى نحوه وكان نظراته كانت تجتذبها و أضافت: «أعتقد أنك تظنني أتصرف بطريقة طفولية.» كانت سوزي تشعر بالمحيط يحيط بها من كل جانب، وبالبرودة في داخلها أيضاً. لذلك فانها قد تصرخ في وجهه او تركض إليه، وإذا بالغضب يشتعل في داخلها ولا تعرف السبب.

«هناك ثورة في تصرفك الليلة، وليس طيش طفولة.»

فاقتربت إلى أن وصلت إلى الشاطىء حيث اصبحت المياه تغطي كاحليها، وكان هو على مسافة خطوتين منها، وقالت: «اذا رحلت يوم الأحد، هل ستحاول ان تأخذ جسيكا مني؟»

«لن ترحلي.» واقترب منها وأصبح مواجهاً لها رغم ظنها أنه بعيد عنها، وقال: «سيبتل حذاؤك.»

وإذا بها ترتجف، وعندما اتى لينتشلها من الماء، ابتعدت عنه وقالت:

«لا تفعل! لا...»

«كفى. هل تعلمين حقا ما تريدين؟»

«أجل. أريد أن اتحرر منك. أريد أن اعيش حياتي. أريد...» ثم شعرت بالبرودة وقالت بصوتها المرتجف: «الرياح تشتد.»

«أجل، أيتها الحمقاء! وأنت ستتجمدين.» وسمعت صوت المياه التي كانت تضرب قدميه، ومن ثم رأت الاشجار من حولهما وهو يتسلق التلة. فاعتقدت انها تستطيع ان تسمع نبضات قلبه، لكن ارتجافها كان يحول دون حصول ذلك.

www.liilas.com

«أريد أن أتحرر منك. أريد أن، أشاهد التلفز... التلفزيون دون أن آبه إذا كنت أريد...»

كانت سوزي لا تزال مع غاري حين تسلق الدرج المؤدي إلى الشرفة، وما ان رأت الأرجوحة حتى حلمت بأنها مستلقية هناك، والأرجوحة تهتز بهدوء وغاري إلى جانبها، فأغمضت عينيها.

كان ضوء القمر يظهر التوتر الذي كان يرتسم على وجهه، وسمعت صوت باب يفتح، ثم صوته يقول: «سوزي، هل لنا أن نفعل ذلك دون أي مشاكل؟»

فتحت سوزي عينيها، فاذا بالنور يشع من حولها.

فتح غاري باب حجرة المنزل، وتبعته سوزي، وأسنانها تصطك. لقد كان غاضباً، وعيناه متسعتان. فاذا بها تقف امامه وهي ترتجف بينما كان يصرخ فيها كطفلة صغيرة: «أتتخيلين أنني سأؤذيك؟»

شعرت بارتياح حين رأته يهدأ، لأنها لم تعد تستطيع أن ترى نفاد الصبر الذي كان ظاهرا على وجهه.

«أنا آسفة، كان من الحماقة فعل ذلك.»

وبما انه لم يعلق على كلامها هذا، اعتقدت أن الصمت هو بمثابة اجابة منه.

فعضت على شفتها السفلى وقالت: «أنا بخير الآن، يمكنك أن تتوقف عن القلق.» لكنها لم تكن تريده أن يتوقف، فقد كانت تستمتع بقلقه عليها. فأغمضت عينيها.

سألها بصوت أجش: «ماذا سأفعل بك الآن؟»

فردت بهمس: «لا أعلم. لقد جعلتك تبتل، أليس كذلك؟»

«هذا لا يهم.»

بدأت تمشي بعيداً عنه، ولم يحاول منعها، وهي لم تلتفت لتنظر اليه بل نظرت الى صورتها في المرآة، ولم تسمح لعينيها ان تنظر إلى الرجل الذي كان يقف وراءها، وقالت: «أظن أن الوقت قد حان كي آوي إلى فراشي.»

فتح الباب لها، وبدأت تسير عبر الممر دون أن تنظر إليه. لكن كان عليها أن تمر بالقرب منه حتى تتمكن من أن تشم رائحة عطره. وسمعته ينادي باسمها.

وعندما وصلت كلماته إلى سمعها، لم تكن واثقة من أن ما سمعته كان حقيقياً، ذلك لأنه قال كلماته برفق وهدوء شديدين. فتوقفت ورفعت رأسها وأدركت أنها أصبحت تائهة، وانه لم يكن هناك أي خيار عندما رأته بين الجموع في المركز التجاري في إيغل.

سألته بثقة: «ماذا قلت؟»

وإذا به ينظر إليها بطريقة جعلتها تدرك أنه من السهل جداً الرضوخ إلى طلبه وقال: «لقد قلت... لا اريد الطلاق، اريد لزواجنا ان يستمر، فكفاك عناداً.»

فحدقت به وحاولت أن تحزر ما يفكر به وسألته: «لماذا؟ هل تحبني؟»

لم يكن لديها الجرأة لتسمع جواب هذا السؤال فابتعدت عنه وتوجهت نحو الباب المفتوح إلا أنه لحق بها.

قالت: «أريد أن أجلس على الأرجوحة.»

«يجب أن نضع حداً لهذا.» اعتقدت انه غاضب، ذلك حسب نبرة صوته، لكن ما رأته في عينيه لم يكن غضباً، فقد كانت عيناه تشعان ببريق الحب.

أخذت تتراجع بعيداً عنه إلى أن وصلت إلى الباب

www.liilas.com

المفتوح الذي يؤدي إلى خارج المنزل. ورأت خيال فراشة دخلت إلى المنزل، وكانت تحوم حول قنديل يضيء غرفة الجلوس. فاستدارت وتوجهت نحو الشرفة وتساءلت عن المكان الذي تظن نفسها متوجهة نحوه.

ثم جلست على الأرجوحة، وسمعت صوت الباب يطبق، أغلق غاري الباب لتسمع بعد ذلك لا شيء سوى الصمت. راحت تحدق في الظلال التي كانت تؤدي نحو المحيط وشعرت بأن غاري لا يزال يقف قرب الباب واحدى يديه تمسك مقبضه، وكأنه قد يعود إلى الداخل ويتركها بمفردها.

فهمست: «لقد حجبت الغيوم القمر.»

«لماذا تهربين مني؟»

«لأنني خائفة.» كانت الظلمة تخيم على المكان، وقد حان الوقت لقول الحقيقة في الظلام.

«خائفة مني؟» وتسلل خياله بين خيالها والمحيط. ثم أضاف: «أو خائفة من نفسك ومن حبك لي؟»

فنظرت اليه وعرفت الاجابة. لقد ادعت انها رحلت بسبب نمط حياته الذي يعيشه، لأنه لم يكن يحبها. لكن خوفها الشديد كان مرده إلى انه قد يجعلها تحبه إلى حد يجعلها غير قادرة على متابعة حياتها بعد أن يرحل عنها.

هل يمكنها أن تمنحه ثقتها تحافظ على سلامة قلبها بعيداً عنه؟ إلى حد ما عليها ذلك، لأنه كان على مقربة منها، وهي تعرف انها لن تتمكن هذه المرة من الهرب منه.

سألته بقلق: «غاري، أتعتقد انني سأهرب مرة ثانية؟

الفصل التاسع

كان ما حدث حلماً، لكنه حلم جميل، ذلك لأنه وبالرغم من كل ما تبادلاه من كلام عنيد وادعاء ظاهري، الا أنهما عبّرا عن حقيقة ما بداخلهما بقوة لدرجة أنهما شعرا وكأن نبض كل منهما يستمد من الآخر. فقد كان غاري هناك في داخلها... يستفز مشاعرها المكبوتة باندفاع عنيد شتتها عن ذاتها، وهذه المرة لن يكون هناك مجال لاسترجاع هذه الذات. فأغمضت عينيها، وإذا به يصبح كل شيء في عالمها.

إذا لم يكن ما حدث حلماً، فإنه سيكون من الاستحالة أن تسترجع ذاتها مرة ثانية لكنها صحت فجأة عندما همس باسمها، وما ان نظرت إليه، حتى وجدت نفسها أسيرة نظرات تلك العينين الزرقاوين، فإذا بها تغرق ثانية دون أن تتفوه بأي كلمة.

لقد تحوّل ليل هذا اليوم إلى ليلة طويلة، فجرت فيها كل ما في داخلها وأفرغت ما في قلبها. وإذا بحبها الكبير له تنتصر عليها، فتفقد سوزي ذاتها.

استيقظت لتجد نفسها وحيدة.

كانت أشعة الشمس التي تسللت إلى الغرفة عبر النافذة تصل إليها، فابتعدت إلى الجانب الآخر من السرير وتلحفت بالغطاء ودفنت وجهها في الوسادة، وشعرت بنفسها ترتجف بسبب تأثير الحلم. ثم فتحت عينيها، لأنه لم يكن حلماً.

فقد سبحت تحت ضوء القمر وغاري يراقبها. لا بد وأنه اعتقدها مجنونة، وأن غطسها في الماء، أثار سخريته، وبالطبع لم يلحق بها. ماذا كانت تظن نفسها فاعلة؟

كانت بحاجة يائسة إليه، لكنها لم تكن قادرة على الإعتراف بذلك حتى لنفسها. لذلك تصرفت كالحمقاء. وغطست في الماء، ثم تراجعت حين أدرك ما تريده عندما كانا في الممر.

ليلة أمس لم تكن حلماً. فقد كانت كل أحلامها قائمة على أساس ليلة واحدة قبل سبع سنوات عندما علّمها أن ألم مبادرة امرأة بالاعتراف بحبها قد يتحول إلى كابوس.

لكن ليلة أمس...

قفزت من السرير. لأنها أدركت انه يسري في دمها، وانها لن تتخلص منه أبداً.

هل سينظر إليها ويحاول التقرب منها مرة ثانية هذا الصباح؟ أو أن السخرية ستظهر في عينيه بسبب ضعفها؟ فهي لا تستطيع أن تحتمل نظرات عينيه الباردة واللامبالية. ليس الآن.

أبعدت الغطاء عنها، ودخلت إلى الحمام، بالكاد تدرك ما كانت تفعله، تريد أن تبعده عن تفكيرها.

وكان ذلك ممكناً!

ارتدت ملابسها، وتوجهت إلى الحديقة حيث كان غاري هناك.

«أنت لن ترحلي الآن.»

فإذا بكلماته هذه ترجعها إلى الماضي، إلى ليلة أمس وتلك الليلة قبل سبع سنوات خلت. فقد كانتا متشابهتين

تماماً. ذلك لأنها، في المرتين، كانت تنهض من النوم ضعيفة وبحاجة يائسة له. استفاقت مرتين وأشعة الشمس تضربها. قبل سبع سنوات كان على وشك أن يتركها، واليوم يريد استبقاءها، لكنها شعرت الشعور ذاته في المرتين بسبب ما رأته على وجهه... وبسبب ما لم تتمكن من رؤيته.

«أنت لن ترحلي الآن.»

«أهذا ما خططت له؟ أن تخدعني كي أبقى؟» ولم تكن تعرف كيف كانت تلك الكلمات تصدر منها، لكنها كانت تدرك الأمر تماماً الآن.

«لطالما أردتك أن تبقي.» لكن نبرة صوته هذه المرة كانت تلك التي يستخدمها خلال قراءة تقاريره في نشرات الأخبار. إنه الرجل المحايد الذي يبحث عن الحقيقة. فحدّقت في عينيه وركزت على ذلك الصوت، وركزت على ثقتها في تمكنها من الاقتراب وإعادة ما حصل.

«لقد حذرتني. حذرتني بالفعل. لكنني لم أكن أعرف كل الوسائل التي تستخدمها لتنفذ رغباتك. إنه لأمر جميل أن ترى الكون يسير على هواك.» لقد أعلنت الحرب الكلامية عليه حتى تخفي ألمها الداخلي. وتابعت: «أنت ماهر في السيطرة على الظروف لصالحك. أخبرني، هل تفعل ذلك من أجل جسيكا؟ أم لأنك غير قادر على الاعتراف بأنك اقترفت غلطة بالزواج مني؟»

وهزت رأسها، وإذا بالماء الذي يبلل شعرها يتسلل إلى وجهها. سألته: «ألن تجيبني؟ أظنك تجيب فقط على الأسئلة التي تريدها، أليس كذلك؟»

«إنه الشرط الأول للاستمرار في مواجهة عدائية. الإجابة

www.liilas.com

فقط على أسئلة من اختياري.» ثم وضع إحدى يديه في جيبه وقال ببرود: «وأنت لا تتلفظين هذا الصباح سوى بما هو هراء.»

فقالت في نفسها انه لطالما كان الأمر كذلك. ذلك لأنه يسيطر عليها منذ أن كانت طفلة، لكنه فعل ذلك باستخدام أسلوب الانسان المهتم لأمور الآخرين. فأطبقت أصابع يدها اليسرى بإحكام يكفي لأن تغرس أظافرها في راحة يدها. وقد ساعدها الألم الذي تسبب به ذلك لإبقاء القوة في صوتها.

قالت بحسم: «أنا راحلة.»

وسمعت شهقة وصلتها من وراء غاري.

إنها جسيكا!

استدار غاري، فرأت سوزي ابنتها تقف أمام عتبة الباب. كانت جسيكا ترتدي سروالاً أزرق اللون وبلوزة قطنية خضراء، وعيناها متسعتان من شدة غضبها. شعرت سوزي بالدموع تترقرق في عينيها، ذلك لأنها كلما نظرت في عيني جسيكا، كانت تخال عيني غاري تحدّقان بها. وقد أمضت سبع سنوات وهي تدعي أن زرقة عيني جسيكا هو فقط نتيجة الوراثة ليس أكثر، أما الآن فإنها ستمضي بقية عمرها ولن تصدق غير ذلك.

وما أن وضع غاري يده على كتف جسيكا، حتى أبعدتها بعصبية وقالت بنبرة غاضبة: «لقد قلت انه يمكننا البقاء! فيما كنت تحضر لي فطوري هذا الصباح، قلت لي انني ووالدتي نستطيع البقاء هنا.»

فوضع يده ثانية، على كتفها وقال: «يجب أن نتحدث أنا

ووالدتك في هذا الأمر. إذهبي وإلعبي مع التوأمين حالما نتكلم.»

فهرعت مسرعة خارج الغرفة، وبعد لحظات قليلة سمعا صدى صوت الباب الخارجي في الطابق السفلي يطبق بقوة.

قالت سوزي بصوت منخفض: «أنت تستخدم كل شيء ضدّي، حتى إبنتي.» ثم أشارت نحو السرير وقالت: «ماذا تظنني؟ أتعتقد أن كل ما أحتاجه هو...»

فرفع إحدى يديه وكأنه يومىء إليها بالصمت، فحاولت أن تمنع نفسها من الكلام لكنها لم تستطع. وقالت: «أتعتقد أن هذا هو كل ما أحتاجه؟ أن تستدرجني إليك وتحصل عل ما تريد؟ أنا أريد... أنا أريد الحب، آه منك!» وارتجفت حين سمعت صدى صوتها في الحجرة الصغيرة، وللقسوة التي كانت ترتسم على وجهه. وأضافت: «لن أدعك تستغل الحب ضدّي... ضد إرادتي... أنا لن أرضخ ثانية إلى... إلى...»

نظر إليها بغضب وقال: «أليس من الأفضل لك أن تنضجي؟ أنت مهووسة بالكلام. تريدين الحب؟ ماذا عساه الذي جرى هنا ليلة أمس؟ هل يجب عليّ أن أخبرك بصريح العبارة ما يربط بيننا؟ إذا كان هذا حقاً ما تريدين، إرحلي. أخرجي من بيتي. إرجعي إلى ما تظنين أنه بانتظارك في المكسيك. استقلي الطائرة وأخرجي من حياتي. خذي أمتعتك ولوحاتك وكل ما تحتاجينه معك.»

«لكن... جسيكا؟»

قام بحركة دلت على سأمه، ثم تركها ودخل إلى غرفة نومه. فتبعته إلى هناك. وقف قرب النافذة وأخذ ينظر إلى الخارج، ثم التفت إليها باشمئزاز وقال: «لا تحاولي أن

www.liilas.com

تختبئي مني هذه المرة، يا سوزي. لأنك إذا ما فعلت، فإنني سأجعلك تندمين على فعلتك هذه. أؤكد لك ذلك.»

لم يكرهها من قبل قط، لكنها ظلت تصرخ دون أن تعي ما تقول. وها هي عيناه الآن تنضح كراهية.

«ماذا ستفعل إذا إختبأت؟»

«سآخذ منك جسيكا. إذا حاولت أن تبعدي إبنتي عني، أعدك أنني سآخذها منك، بالقانون وبأي وسيلة ممكنة، ولن تتمكني من أن توقفيني.»

فاستدارت ومشت خارج غرفة نومه، متوجهة إلى الردهة ومنها إلى الغرفة التي كانت تنام فيها حتى ليلة أمس. فأغلقت الباب وفتحت الخزانة، ثم أخرجت منها سروال جينز وكنزة فضفاضة. إرتدت بعد ذلك ثيابها ببطء. وعندما انتهت، فتحت حقيبتها ووضعتها على السرير.

أفرغت كل ما في الخزانة أولاً، ثم بدأت بتفريغ أدراج المكتب التي كانت مملوءة بالأغراض وكأنها كانت تنوي البقاء هنا إلى الأبد. الجزء الأول من زواجها استمر يوماً واحداً، ومن ثم هربت. الآن، وبعد مضي ستة أيام، لم يكن هناك مكان يمكنها الهروب إليه. لقد تعلمت هذا في سبع سنوات.

وبعد أن ملأت الحقيبة، كان لايزال هناك بعض الأغراض، فقد نسيت فرشاة شعرها، أدوات الزينة، والصابون... بالإضافة إلى أشياء أخرى. كل ذلك لم يبقَ له متسع في الحقيبة، وكأنها لم تعد تناسب المكان الذي جاءت منه.

وعندما انتهت، راحت تنظر إلى الخارج عبر نافذة

غرفتها، إلى السماء الزرقاء والأشجار الدائمة الخضرة. كان باستطاعتها كذلك أن تشم رائحة اشجار الأرز، التي لن تشمها ثانية بعد أن ترجع إلى السكن في كوخ ليز في المكسيك، حيث ستستأنف رسم لوحاتها، وكذلك التوق إلى كل ما حلمت به يوماً. هذا بالإضافة إلى مشاهدة التليفزيون، الذي لم يظهر غاري عبر شاشته كثيراً مؤخراً. ولم يعلن لها عن سبب عدم ظهوره هذا، أضف إلى أنه لم يخبرها ما يتحدث عنه الكتاب، ولماذا هو هنا في منزل جديد عوضاً عن وجوده في افريقيا أو أميركا الوسطى.

انه ينظر اليها وكأنه يكرهها، وهي ستمضي حياتها بانتظاره. سينتظران ظهوره معاً، سوزي وابنتها... ابنتهما... تنتظر ولا تفهم، ولن تكون أحلامها مفهومة أيضاً، لأنه حتى دون محاولة، علّمها ان الحب يختلف عن الإعجاب، وأن الحب قد يستهلكها.

ستأخذ سوتي وجسيكا معها، وستباشر حياتها كشخص يعيش في المنفى. وقد اعتادت جسيكا على أنها مواطنة من بلدين مختلفين، المكسيك حيث ولدت وترعرت في طفولتها وكندا موطن والديها. لكن جسيكا اختارت المنزل الذي تريد أن تسكن فيه إلى الأبد هذا الصباح.

جسيكا لا تريد أن ترحل.

ولم تكن سوزي تود الرحيل أيضاً.

ها هي ستهرب ثانية، تحزم أمتعتها وكأنها تستطيع أن تهرب من غاري، ألم تعلمها السنوات السبع الماضية أنه لا مفر؟ لقد سألها الليلة الماضية لماذا هربت، وممن كانت

www.liilas.com

تخاف... منه أم من نفسها. فنظرت إلى الحقيبة الموضوعة على سريرها وأدركت كم سيكون صعباً أن تعيش مع غاري، وهي تحتاج لأكثر مما هو يستطيع تقديمه، أن تتقرّب منه، أن تغرق في عالم غريب، لكن دون أن تنسى أنه قد يغادر البيت في أي لحظة ويرحل دون أي سابق إنذار.

لكنها لن ترجع هي ذاتها مرة ثانية إذا ما رحلت. فقد أغرمت به بطرق لم تكن تتخيلها. أحبته بيأس وإلى ما لا نهاية، وأدركت أنها لن تستطيع أن تمحو هذا الحب بتصرف إرادي كهذا.

هل يمكن أن يكون ما هو اكثر إيلاماً من العيش بعيداً عنه؟ وإذا بقيت... هل هنالك من أمل أنه قد يغرم بها؟ فإذا بالحزن يعتريها لأنها كانت تعلم أنه سيحطمها في حال بقيت ولم ترحل. إذا سمح لها أن تبقى بعد الكلام الذي قالته، والذي قاله هو.

قد يرحل غاري، لكنه لا يجب عليها أن تقبل بقراراته. ذلك لأنه لديها مهنتها، ومدخولها الخاص. تستطيع أن تشتري تذاكر الطائرة. إذن، حتى لو كان العالم يفصل بينهما، فإنها ستتمكن من الوصول إليه. فهو لا يستطيع أن يمنعها من الذهاب إلى حيث هو موجود. فإذا ما كانت تلاحقه وجسيكا بصحبتها، فإنه سيكون من الصعب عليه أن يرفضها.

وسيعرف غاري ذلك طبعاً. سيعلم إلى أي حد تحبه، وكم هي بحاجة إليه. فهي لم تستطع أن تخفي رغباتها حين كانت تلاحقه عبر الحدود والمحيطات، ولم تستطع أن تتظاهر بأن حب الأمس قد انتهى. سيعرف قوة تأثيره عليها.

إبتلعت ريقها ولامست شعرها بكلتا يديها. وهي تتذكر ما قاله لها عندما كانا في المكسيك «أنضجي، حددّي ما تريدينه.» وقد يكون الوقت متأخر جداً الآن لمعرفة ذلك. لقد كانت تصرخ في وجهه وتهدده بلجوئها إلى القضاء. ماذا هي فاعلة؟ تبعد عنها الرجل الذي تحبه وستظل كذلك إلى الأبد، الرجل الذي كان شريك حياتها، تهرب منه عندما طلب منها ألا تفعل.

تختبىء من قلبها. حمقاء. جبانة.

وأحست بمآقيها جافة. أحست بالجفاف في كل مكان، في مآقيها وحنجرتها، وكأنها لن تتمكن من البكاء ثانية أبداً، وكأنها جفت، فقدت الدموع، بل الفراغ فقط، لكنها ستناضل من أجله، تناضل لتصحح كل حماقة إقترفتها. ستلحق به إلى آخر الدنيا إذا كان عليها هذا، لتقول له ان العالم لا ينتهي عند نشرة أخبار الحادية عشرة وأنه زوجها هي.

دخل إلى غرفتها بهدوء وصمت، ثم أغلق الباب. فنظرت إلى يده التي كانت تمسك قبضة الباب، وتساءلت عما كان يفكر به. وتمكنت من حبس دموعها، وإكتفت بالصراخ في وجهه. فهو لم يكن بحاجة لرؤية دموعها ثانية.

إنحنت وأخذت كنزة من الحقيبة، وطوتها ثم أرجعتها إلى الحقيبة. ولم تسمح لنفسها بالنظر إلى وجهه. إقترب غاري من السرير وذراعيه لا تزالان إلى جنبيه، وتوقف هناك دون أن ينطق بكلمة واحدة أو يقوم بأدنى حركة بينما كان الوقت يمر وكأنه دهر. وعجزت سوزي عن إيجاد كلام تكسر به جبل الصمت الذي كان يفصل بينهما.

فاستدارت وتوجهت نحو الصوان، وفتحت الدرج الأول. كان فارغاً. وكان يوجد على الصوان صورة فوتوغرافية إلتقطتها عندما كانوا قرب الشاطىء، وغاري يمشي في الماء وجسيكا على كتفيه.

أمسكتها، ثم وضعتها مكانها ثانية. توجهت نحو الخزانة، كل ما بقي فيها هو سترة لم يعد لها مكان في الحقيبة. نزعت السترة عن حمالة الثياب، وتوجهت نحو السرير والسترة في يدها. كان غاري يجلس قرب الحقيبة على السرير، ووجهه خال من أي تعابير. فأدركت حينئذ أن الوقت أصبح متأخراً جداً، وأنه سيكون بينهما محامين وقضاة، وأنه لم يعد هناك أي فرصة لتناضل من أجل حبها له.

«لقد جعلني والدك منفذاً لوصيته.»

«أنا لا أستبعد ذلك.» ثم طوت السترة ووضعتها فوق الثياب التي كانت تضعها في الحقيبة. رغم أنه كان فصل الصيف، ولم يكن هناك حاجة ماسة لسترة، ولم يكن لديها أدنى فكرة لماذا أحضرتها معها.

«لم يخبرني هو ذلك. بل اكتشفت ذلك بعد وفاته، حين اتصل بي محاميه. هناك أموال مرصودة باسمك. رصيد يعود لبوليصة التأمين، بالإضافة إلى مصادر أخرى.» وذكر لها قيمة الرصيد، فإذا بها تذهل من الصدمة. فقد كان المال يكفي لمصاريف تعليم جسيكا كاملة، بالإضافة إلى أن هذا المبلغ يمكنها من الرحيل عن رجل ستحمله في قلبها.

لم يكن يسمع لوقت طويل سوى صوت أنفاسها. وعندما نظرت إلى يديه، وجدت أصابع اليدين مطبقة. فابتلعت ريقها

وأغلقت الحقيبة، التي كانت منتفخة بسبب كثرة ما كان بداخلها. وشعرت بتعب، أدركت بعده أنها لن تتمكن من مقاومته. وودت لو أنها تستطيع الاقتراب منه، وتتوسله ليبعد الحواجز التي تفصل بينهما. ورغم معرفتها لكل تلك العقبات، الا أنها لم تجد إحداها على حد من الأهمية كمعرفتها أنها أغرمت به ثانية، أغرمت به من جديد وبطريقة لا يمكن أن تكون حلماً. وتساءلت إلى أي حد سيستمر ألمها في حال أنه لم يسمح لها بالبقاء، وأجابت في نفسها أن ذلك الألم قد يدوم إلى الأبد.

لقد منحها جزءاً من ذاته كان ينوي منحها إياه، وشعرت بالألم لفقدانها هذا الجزء الآن. غاري يضحك مع جسيكا. غاري ينظر اليها فيما كانت ترسمه وهو عابس خلال تدقيقه في بعض الأوراق وهو مستلقي على الأريكة. غاري يقترب منها وهي تقف في الماء.

قد يرحل لإستقصاء الأخبار في جولة مثيرة حول العالم، لكنه سيرجع دائماً، فهذا منزله، وكان باستطاعتها مشاركته إياه إذا ما كانت ترغب بذلك. فهو متزوج منها، وهو ليس من ذلك النوع من الرجال الذي قد ينسى قسمه. ربما لم يحبها، لكنه سيقوم بالمستحيل إذا ما حدث ذلك. ولا يمكن أبداً أن يخونها. قد يرحل، لكنه سيعود من أجلها. من أجل جسيكا.

وضعت يديها في جيبي سروالها الجينز ونظرت إلى يديه، وقالت: «لن أبعد جسيكا عنك. لن أفعل ذلك.»

وضع إحدى يديه على الحقيبة المغلقة وقال: «إلى أين أنت ذاهبة؟»

لقد حزمت امتعتها، واعتقدت أنه ليس هناك من حل آخر

www.liilas.com

سوى الرحيل. ردت قائلة: «سأعود إلى المكسيك.» ماذا سيقول إذا علم أنها غيّرت رأيها؟ سينعتها بالجنون، وأنها متقلبة المزاج جداً. وتساءلت في نفسها إذا ما كان هناك في حياتها أي فرصة تحول فيها الإعجاب والانجذاب اللذين تبادلاهما ليلة أمس إلى ما هو أهم؟ إلى شيء يثبت هذه الأحاسيس في داخله بعد طلوع النهار؟

لقد أرادها أن تبقى، قبل أن تصرخ في وجهه ناطقة بما هو هراء، وطلب منها على أثر ذلك الخروج من حياته. قال أيضاً انه يتمنى لها التعاسة في حال أصرت على الطلاق لتتزوج ثانية هل يمكن تسمية هذا غيرة؟ أم أنها كراهية؟

«إذا اعطيتني رقم حسابك المصرفي، فإنني سأتمكن من تحويل أموال والدك إليك، إضافة إلى بعض المال مني.»

هزت رأسها، وسألته بينما كانت تحدق في وجهه: «منك؟ لماذا؟»

«من أجل جسيكا. إذا كنت تريدين شراء منزل يتسع لكما، سأساعدك في ذلك. لا أريدك أن تستمري في الاستئجار. أنا...»

كان الألم يمزق قلبها، بينما كان هو يتحدث عن المال. فهمست قائلة: «أنا لا أريد المال.»

«أنا أدين بنفقة ست سنوات. أي محكمة كانت لتحكم لها بذلك.»

«لا أريد اللجوء إلى القضاء!» وإذا بالدموع تنهمر على وجهها وتابعت: «أنا فقط أريد...» آه، ماذا بها! لم تكن تقصد أن تبكي ثانية! فهزت كتفيها بيأس ومسحت دموعها بظهر يدها.

«سوزي؟»

تلعثمت ولم تعد تدري ما عليها فعله، وأدركت أنه عليها أن تتوسله. فهي إذا لم تتوسله ليحبها، فإن هذه الكلمات ستحترق في داخلها إلى الأبد. وراقبت أصابع يده وهي تطبق، ثم حرك يده وكأنه سيضرب ظهر الحقيبة الجلدي.

«هناك أغراض أخرى لك في الغرفة عند نهاية الممر، هل ستأخذينها معك أيضاً؟»

www.liilas.com

الفصل العاشر

هزت سوزي رأسها بارتباك. فقد كان غاري جالساً يراقبها، لكن الكره الذي كان يبرق في عينيه قد اختفى.

«ما هي تلك الأغراض الموجودة في الغرفة الأخرى؟ أنا لم أفقد شيئاً.» بل فقدت قلبها فقط، وقد حدث ذلك منذ زمن بعيد.

«كل الأغراض التي كانت في الشقة في إلدوفر.»

كان هناك رسوماتها حين كانت في معهد الفنون، وصورة الحوت الذي أعجبت غاري جداً لدى رؤيته إياها في اليوم الذي تقدم فيها للزواج منها. صور فوتوغرافية التقطت في حداثتها. صور لغاري والعمة جاكي وشاطىء جزيرة توبس.

«اعتقدت أنها أتلفت كلها.» إذا ما تركها ترحل، فإنها على الأقل ستحتفظ بصوره. ستمنحه الوقت ليبرد غضبه منها وبعدئذ سترجع إليه. وتابعت: «لقد اعتقدت أن صاحب الملك قد باع كل شيء مقابل الايجار المستحق.»

«لا.» ثم قام عن السرير وتوجه نحو النافذة، لتستطيع بعد ذلك أن تسمع صوته فقط، ذلك لأنه كان يقف معاكساً لها. أرادت أن تطلب منه أن يلتفت إليها، لأنها كانت بحاجة لقراءة تعابير وجهه، وإلى عينيه اللتين كانتا تخبرانها أحياناً ما كان يكتمه غاري.

«لقد دفعت للمالك إيجار الشقة لعام كامل، لأنني اعتقدت

أنك قد تذهبين إلى هناك. لذلك، دفعت له مبلغاً إضافياً، كي يتصل بي في حال حضورك. لكنك بالطبع لم تأتِ.»

لقد كانت في المكسيك تلد طفلته، وتساءلت عن مدى رغبته الشديدة في العثور عليها، وإذا ما كان جزء من رغبته هذه لأنه كان يفتقدها.

«بعد ذلك أحضرت كل شيء إلى هنا. ووضعته في تلك الغرفة التي كنت تستخدمينها كمرسم في بيتنا القديم، ثم بنيت هذا المنزل.» ثم أومأ بيده وكأنه كان يشير إلى الغرفة التي كان يضع فيها الأغراض وتابع قائلاً: «تتمتع هذه الغرفة بإنارة كافية. لذلك فهي مناسبة لتكون مرسم.»

إنه الباب الموصد عند نهاية الممر. ورغم تجولها في كافة أنحاء الطابق السفلي، وفتحها كل الأبواب إلا أنها لم تجرؤ على فتح الأبواب في هذا الطابق، لأن غرفته موجودة في هذا الطابق.

«مرسم؟ هل قلت مرسم؟»

«لقد قال المهندس ان الإضاءة ممتازة في هذه الغرفة، لكنه عليك أن تتأكدي من ذلك بنفسك.» ثم استدار، وكل ما استطاعت رؤيته على وجهه هو الإرهاق.

لقد بنى هذا المنزل، وجهز إحدى غرفه كمرسم. رغم أنه نقل لها إعتقاده بأنها ميتة، الا أنه جهز لها مكاناً تمارس عملها فيه. وقد قالت لنفسها ذات مرة انه ما من شيء يكفيها سوى حب غاري، لكن في غضون لحظات قليلة قد تطلب منه أن يمنحها ما باستطاعته إذا لم يكن قد فات الأوان.

فهي لم تعد طفلة. ولم تتخيل أنه سيقيم نهائياً على هذه الجزيرة. ذلك لأن عمله مهماً بالنسبة إليه بنفس الدرجة التي

كان فيها الرسم مهماً بالنسبة إليها. وقد كان ذلك أحد الأسباب الذي جعلها تحبه... تورطه العاطفي بشؤون العالم. ورغم أنه وضع ذلك القناع ليحجب أحاسيسه، الا أنها أدركت انه تورط عاطفي.... انه رجل عاطفي للغاية. لطالما كانت تعرف ذلك، لكن كان يراودها ذلك الحلم المجنون أن هذه العواطف الجياشة ستكون هي يوماً ما محورها.

«غاري... هل ستستأنف عملك عبر البحار؟» لن يطردها، لا؟ لن يفعل ذلك وجسيكا بصحبتها. وفي حال بقيت، فإنه سيرجع يوماً ما. وتابعت: «عندما تنتهي من تأليف كتابك، سترحل، أليس كذلك؟»

«ليس إذا بقيتما هنا.»

«ربما نستطيع جسيكا وأنا... قد أحضر جسيكا لزيارتك، فيما أنت عبر البحار. إذا كنت في مكان أمين. إذا... إذا لا تمانع أن آتي و...» وابتلعت ريقها مرتين حين استوعبت أخيراً ما قاله. فسألته: «ما كان قصدك حين قلت (ليس إذا بقينا هنا؟)

فأجاب بصوت أجش: «أنا لن أغامر بحياتي في حال كان لي عائلة أهتم بها.»

«غاري...؟»

كان لايزال ينظر إلى يده الموضوعة على الحقيبة حين قال: «أنا أفاوض مع رئيس محطة البث على عرض سلسلة وثائقية. سأكون مضطراً للسفر، لكن ليس... ليس كما كان الحال سابقاً. أنا لن أكون... هذا لا يهم.»

«لماذا، يا غاري؟ بسبب جسيكا؟» لكن لا بد وأن يكون قد

افتقدها ما فيه الكفاية حتى يجهز لها غرفة في منزله.

أجابها: «لأنه حان الوقت. سيكون لي الحق في الاشراف المباشر على ما سيبث. فأنت لا تعرفين كم من الحقائق تحذف في غرفة التسجيل. أريد أن أسيطر على ذلك.»

فابتلعت ريقها مرتين وقالت: «إنها خطوة ايجابية في مستقبلك المهني.»

«إنني أتكلم معك بأمانة. كان بإمكاني أن أقول لك ان ما أفعله هو لأجلك أنت وجسيكا، لكن الحقيقة أنني بدأت مفاوضتي هذه قبل أن أعثر عليك، قبل أن أعرف بوجود جسيكا. كل ما أستطيع قوله هو...» وكان ينظر إلى الحقيبة، وتساءلت إذا ما كان اشتراكهما في النظر إلى الحقيبة، يشكل نوعاً ما من الرباط.

«ماذا؟»

فتنهد وقال: «إذا كنت لاأزال أعتاش من عملي هذا... إذا طلبت مني أن أترك هذا العمل، أعتقد أنني سأوافق. لا اعتقد أن هناك الكثير مما قد تطلبينه ولا استطيع تقديمه لك.»

ابتلعت ريقها قبل أن تقول: «ماذا تحاول أن تقول لي؟»

قال واليأس باد في نبرة صوته وعينيه: «أرجوك لا ترحلي.»

لم تتصور سوزي أبداً أن ترى غاري بهذا اليأس. وسألته: «لماذا؟ من أجل جسيكا؟»

فقد قرأ قصصاً لجسيكا، وحملها على كتفيه، وبالطبع أحبها بعمق. لكنه يهتم لأمر سوزي أيضاً. ربما لم يكن حباً، لكنه كان يهتم لأمرها. وهي جاهزة لأن توافق على طلبه وتقبل بأي عرض يقدمه لها.

www.liilas.com

فهو يريد جسيكا لأنه يحبها. وسوزي هي والدة جسيكا، وقد لا يكون يحبها، لكن حاجته لجسيكا كانت كبيرة لدرجة أنه قد يوفر حياة جيدة لسوزي أيضاً، رغم أنها جعلته يكرهها قبل نصف ساعة فقط. وأنه سيكون معتدلاً ولطيفاً، وقد قال للتو انه سيقدم لها مايراه مناسباً... مهما كان.

بدا التشنج واضحاً على وجهه، وكأنه فقد قدرته على إخفاء عواطفه، وقال بنبرة متشنجة: «أعرف أننا تسرعنا في الزواج، وتسرعنا مرة ثانية حين التقينا من جديد! أعرف أنك لم تكوني مهيأة لذلك، بالرغم من الطريقة التي...» وضرب الحقيبة بعصبية وأضاف: «لكن ماذا كان عساي أن أفعل يا سوزي وأنت... و... و... أجل، أريدك أن تبقي لأجل جسيكا، بالطبع هذا جزء من السبب.»

«والجزء المتبقي؟»

«لقد آلمني غيابك طيلة السنوات السبع، والأمر أسوأ الآن.»

«أسوأ؟»

«إذا كان يجب أن اتوسلك، سأفعل.» وأخذ نفساً عميقاً. تساءلت سوزي لماذا لم تدرك أبداً أنه كان يتكلم ويعبر عن كل شيء، لكنه نادراً ما كان يعبر عن رغباته الخاصة. وقال بنبرة حادة تخفي ألمه: «امنحيني فرصة. دعيني أثبت لك أن من الممكن ان ينجح زواجنا.»

جلست على السرير قرب الحقيبة، لأنها كانت تخشى ألا تتمكن ساقيها من حملها وقالت: «لماذا تزوجت مني؟»

«لن أدعي أنني كنت مغرماً بك.»

«لتهتم بأمري كما طلب منك والدي إذن؟ كما قلت؟»

«عندما رأيتك مع خطيبك السابق بيتر شعرت بالغيرة تأكلني. قلت في نفسي ان ذلك الإحساس هو إحساس مجنون، وأنك لم تكوني من ذلك النوع من الفتيات الطائشات. لقد كان تصرفك شديد الجدية فيما يتعلق بعلاقة غير علاقة الزواج. وأنا لم أكن مهتم، كملاحقة أي فتاة تسيطر على عقلها فكرة الزواج. لكنني عندما ذهبت إلى لوس انجلوس وأخبرتني بأنك ستتزوجين من بيتر، ذهبت أنا إلى باريس، لكنني تمنيت لو أنني استطيع ان ابعده عنك كي أحصل عليك لنفسي.»

فغرست أظافر يدها في كفها.

ابتسم غاري وقال: «أجل. أنت أردت الحب... حسناً، أنا كنت أتحرق شوقاً لامتلاكك، وطيلة كل تلك الشهور التي قضيتها في باريس كنت أحاول جاهداً أن أثبت لنفسي أن أي امرأة قد تحل مكانك، وأنه ليس من الضرورة أن تكوني أنت.»

أخذت نفساً عميقاً، وأحست بألم داخلي لأنه كان من السهل تخيل غاري برفقة سيدة أخرى. وقالت: «حين كنت لا أزال طفلة، رأيتك مع آرلين. لكنني عندما... في بعض الأحيان كنت أتمنى لو أمزق آرلين إلى قطع صغيرة. أردت أن آخذ...»

«ما كان عليك فعل ذلك.» ثم جلس إلى جانبها على السرير، والحقيبة تفصل بينهما مرة ثانية. وأضاف: «لقد مضت سنوات قبل أن اتمكن من تقبُّل فكرة معرفة امرأة أخرى.»

فتنهدت لأنها كانت واثقة أن ما من رجل يشعر بذلك إلا إذا

www.liilas.com

كان مغرماً. ما هم الكلمات التي استخدمها للتعبير عن ذلك؟ ذلك لأنه إذا كان هذا ما يشعر به فعلاً، فإن ذلك يعني أنه يحبها.

«حاولت أن أقنع نفسي أن بيتر مناسب لك، لكنك عندما أخبرتني أن علاقتكما انتهت، عانيت الأمرين كي لا آتي إليك. ذلك لأنني قلت لنفسي انك فخ، وأنا اقسمت أن ابقى بعيداً عن ذلك طيلة حياتي.»

لن تطلب سوزي منه الكثير، ولن تجعله يشعر أنه واقع في الفخ. ولو كان ذلك يخنقها، فإنها ستجعل الباب مفتوحاً حتى لا ينظر إليها يوماً ويشعر أنه في سجن.

«عندما قطعت عهداً على نفسي أن أحميك بشؤونك، اعتقدت أن الأمر سيّان. فقد كنت كل ما بقي لي من عائلتي على وجه الأرض، وبالطبع، سأفعل ما بوسعي لأحافظ عليك. وقد بقيت أفكر وأتصرف بعقلانية ومنطق حتى يوم جنازة والدك. لو لم يكن بيتر هناك...»

«غاري، السبب الوحيد الذي جعلني أعتقد أنني مغرمة ببيتر هو أنه كان يشبهك.»

لاح بريق في عينيه حين التقت عيناهما. قريباً سينتهي الحديث.

«لقد كنت أحترق من الغيرة.»

«لم يظهر عليك ذلك.» فقد كان هادئاً، إلى حد البرودة، وقد كان يقلقها ذلك لدرجة أنها لم تكن قادرة على لمس ذلك الاحساس في داخله.

«صدقيني. لو حاولت أن تفهميني، لاكتشفت أنني أسيرك، لم احتمل تخيل ان بيتر سيتزوج منك. نويت أن

آخذك معي إلى باريس، لكنني كنت أعلم أنني سأنتقل إلى افريقيا. ولم أكن أتوقع حصول ذلك بهذه السرعة، لكنك كنت محقة، وأدركت أنك لن تتمكني من الذهاب معي عندما يتم النقل. لقد خانتني كبريائي حين أخبرني أنك ستوافقين دون أي جدال. وأنك ستكونين بإنتظاري عندما أجد الوقت مناسباً وأعود.»

«آسفة لأنني هربت.»

«كنت محقة حين فعلت ذلك، لأن الأمر ما كان لينجح.»

فوقفت وتوجهت إلى الصوان حيث كانت تضع حقيبة يدها وقالت بهمس: «لقد كنت خائفة. كنت خائفة من كثرة حبي لك.»

«ما كان باستطاعتي أن أقول لك انني مغرم بك حينها. هذا ما أردته أنت، لكنني لم أكن استطيع أن انطق بتلك الكلمات.»

«أعلم ذلك.» ثم أخرجت خاتم الزواج الذي قدمه لها يوم عقد قرانهما من جيبة حقيبة يدها. وأطبقت أصابع يدها عليه باحكام وأضافت: «لقد قلت انني كنت متمسكة جداً بسماع تلك الكلمات.» وقالت في نفسها انه كان على حق.

«إذا كان عليك الرحيل، فلن أمانع ذلك، لكن عديني بأنك لن تختفي ثانية.» وإذا بملامح الألم تظهر على وجهه.

فابتعلت ريقها، ورأت بريقاً غريباً في عينيه، حين قالت: «أنت قلت لي انه عليّ أن أنضج، وأن أحدد ما أريد. أنا أعرف الآن ما أريده.»

«أردت أن أكون أنا ما تريدينه.» ثم تأمل الغرفة وأضاف: «لن أعيش هنا إذا رحلت. لا اعتقد أنني استطيع.»

www.liilas.com

«غاري. لطالما ساورني شعور بالخوف أن ينتهي بي الأمر وأنا أتوسلك كي تحبني لدرجة... لدرجة جعلتني أخاف من حبي لك.» ثم ارتجفت وتابعت: «آسفة لما قلته لك. لا أدري ماذا قلت، لكنني آسفة.»

«لقد قلت كلاماً سممت به حياتي.»

شعرت بوجهها يشتعل من الخزي، لأنها كانت تريد ايذائه بتلك الكلمات. وقالت بهمس: «اعتقدتك تريد جسيكا فقط. لقد كنت أتألم و... واعتقدت أنني أستطيع أن أكون كأي امرأة اخرى وأن ذلك لن يؤثر بك.» ثم وضعت حقيبة يدها ونظرت في عينيه لأنها لم تكن واثقة من أي شيء. لقد كان يهتم لأمرها يوماً. ورغب بها كما كان حاله دائماً. لكن الآن... أضافت: «أريد أن اشعر بأنك تريدني. أنا وحدي.»

فرد بنبرة صوت مرتعشة: «ليس هناك من امرأة أخرى تهمني. أعدك بذلك، يا سوزي. ولن يشغلني عملي عنك أبداً.»

«لو علمت ذلك لما كنت رحلت.» اقتربت منه. ونظرت في عينيه، ثم قالت بنبرة لطيفة وحنونة: «أنا أحبك. لطالما أحببتك. أنت الحبيب الوحيد الذي أردته أبداً، الرجل الوحيد الذي سأحبه دوماً.»

كان باستطاعتها الآن أن تسمع لهاثه، وفتحت يدها ليظهر خاتم زواجهما في راحة يدها. وإذا بها تشعر بيده المرتعشة على الخاتم.

وقال بنبرة مرتعشة كذلك: «لقد قلت لي انك رميته.»

«لم استطع، حاولت ذلك مرة، لكنني لم أتمكن من فعل ذلك.» وعندما رأت وميض الانتصار يبرق في عينيه، همست: «أنا أحبك.»

«لقد قلت لنفسي انني لن أقول تلك الكلمات أبداً.»

«لماذا؟»

فرأت الألم يظهر ثانية على وجهه، وقال: «لا أستطيع أن أذكر حين توفي والدي، لكنني أتذكر والدتي تبكي. أتذكر الحزن الذي كان يملؤها، الألم. أعرف أن سبب ذلك هو أنها أحبته كثيراً، وأقسمت ألا أجعل أحداً يتمتع بهذا التأثير عليّ أبداً، وأن أعيش متحرراً من ذلك الفخ.»

وضع الخاتم في راحة يده وحدّق في عينيها للحظات طويلة وقال: «تأكدي. أريدك أن تتأكدي.»

«عزيزي. أنا واثقة تماماً.»

«لقد ملكتني، ومن ثم فقدتك.»

«لكنك عثرت عليّ مرة ثانية، آه... شكراً لك لأنك عثرت عليّ.»

أمسك يدها بيده ووضع الخاتم في اصبعها وقال: «لا تنزعيه من اصبعك ثانية.»

شعرت ان حبه امتلك كل كيانها وقالت: «يبدو لي ذلك وكأنه مرض.»

فنظر في عينيها بحب وقال: «ليس هناك من دواء لذلك. لا أريد دواء. أنا أحبك، يا فتاتي العزيزة. لربما كنت مغرماً بك، لا أعرف. إنك معلقة بروحي لدرجة أنني لا استطيع أن أتصور عالماً ليس لك وجود فيه. لا أريد أن أعيش في العالم من دونك. أنا أحبك، يا سوزي.»

«آه، يا غاري... أنا أحبك.» وشبكت أصابع يديها وأضافت: «أريد أن أعطيك خاتماً أنا أيضاً. أريد أن أشبكك بعلاقة ظاهرة.»

فابتسم وقال: «سنقيم احتفالاً آخر.» ثم تابع قائلاً: «أود ان تكبر عائلتنا ويكون لجسيكا أخ يكبر معنا، أنا وأنت وجسيكا.»

«تأكد انني أيضاً اريد ذلك... وأريد حبك.»

راح يتأملها والحب يملأ كيانه. وأجاب على سؤالها: «ستبقين أمنية عمري... إلى الأبد...»

تمـــت

www.liilas.com